الأخوان الجمهوريون

هذا هو الشيخ

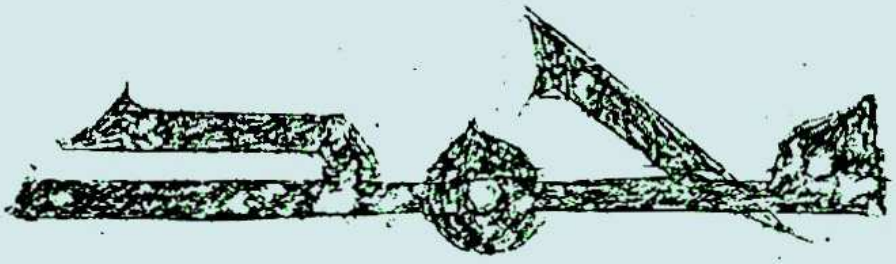

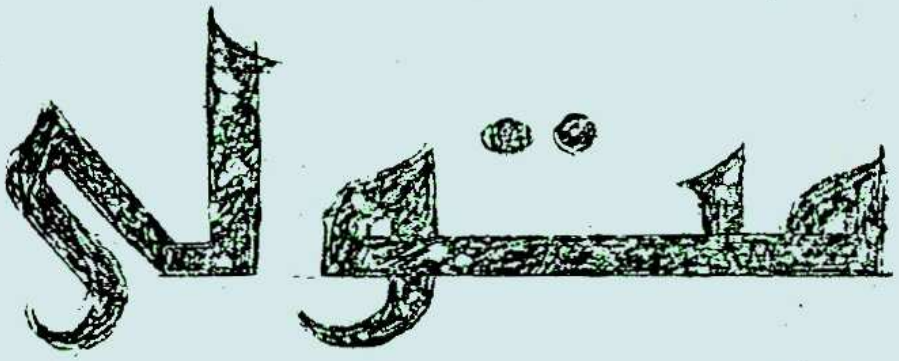

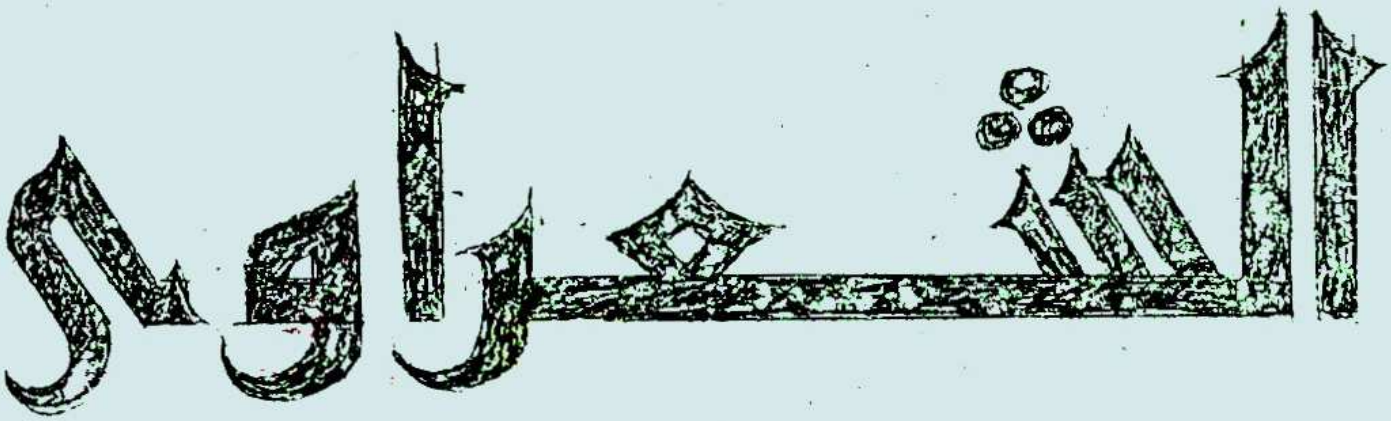

الطبعة الاولى ١١ سبتمبر ١٩٨١ ١٢ ذو القعدة ١٤٠١

هذا هو الشيخ

محمد متولي الشعراوي

الاهـــــــداء :

لما نحن فاننا انما نهدى هذا الكتاب الى الشيخ شمراوى ، وله نقول :
ان هذا الكوكب ، الذى نعيش عليه اليوم ، قد قربت وسائل المواصلات الحديثة بين اجزائه ، حتى لقد اصبح جميع سكانه جيرانا !! وهم قد القى عليهم واجب هذا الجوار حسن المعاملة !! وادناهـــا الاحترام المتبادل !!
ان البشرية المعاصرة التى تعيش اليوم على هذا الكوكب تحتاج الســلام ، فيما بينها ، وهى ، من ثم ، تحتاج الاسلام !! وليس لها الا الاسلام !! وحاجتها تلك اليه انما هى حاجة حياة ، او موت !!
كل داعية الى الاسلام ، مأذون له فى الدعوة اليوم ، انما هو رسول !! والله تعالى يقول : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) !! ولسان قوم الدعاة الى الاسلام اليوم انما هو العلم !!
ولقد جاء الاسلام فى عهد البلاغة بالبلاغة !! فوجب ان يجـــىء فى عهد العلم بالعلم !! وليس للعلم ، من الاسلام ، الا اصـــول القرآن !!
ولما انت فانك لا تقدم لهذه البشرية الذكية ، العالمة ، ذات الطاقات الهائلة ، والمشاكل المعقدة ، الاسلام الذى تحتاجه !! وانما تقـدم لها ، باسمه ، مسخا مشوها ، ينفرها منه ، ويصرفها عنه ، ويزهدهـــا فيه ، اشد التزهيد !!
انك لانت تجهل اصول الدين المدخرة لانسانية القرن العشرين !! ولقد تحسن كثيرا ، للاسلام وللناس ، لو انك اقلعت عن هـــذه الدعوة التى تقوم بها الآن ، ثم انك لا تعدو ان تكون بها واضعا للعراقيل امام الدعوة الصحيحة للاسلام !!
اقلع عن هذه الدعوة تغنم اجـــرا !!

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل يا اهل الكتاب : تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله .. فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون ..) صدق الله العظيم ..

المقدمة :

ان هذا الكتاب يتناول بالتعليق قضايا حيوية ، وعملية ، تعرض لها فى مجالات مختلفة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، من وجهة النظر الاسلامية التى يراها هو بها ..

ولقد ظللنا نتابع ، منذ سنين ، ما ظل يرد باستفاضة على لسان الشيخ الشعراوى من حديث ، غطى مساحة واسعة من اجهزة الاعلام ، والتف حوله جمهور عريض من القراء والمستمعين .

ولما كنا ، نحن الجمهوريين ، انما نعمل للبعث الجديد للاسلام ، على هدى فهم واع ، فاننا لا بد ان نقف عند افكار الشيخ الشعراوى ، لنرى المدى الذى يسيره ، هل هو الموقف السلفى التقليدى ، ام هل فيه تجديد ؟! .. فان كانت الاولى ، فأى شىء يضيفه ، اذن ؟ وان كانت الثانية ، فان مقياسنا له هو حاجة العصر ، وطاقته ، التى ضاقت عنها بعض صور الشريعة السلفية التى تنزلت من اصول القرآن لتعالج بالحكمة قضايا الاقتصاد والسياسة ، والدعوة ، والمرأة ، لمجتمع قام قبل اربعة عشر قرنا من الزمان ..

سنخضع للتقويم ، فى هذا الكتاب ، آراء الشيخ الشعراوى عن (الرق) والحكم الملكى ـ الوراثى ، والجهاد ، والمرأة ، والعبادة ..

وسيتبين لنا اثناء ذلك، ان كان الشعراوى صاحب رؤية جديدة، أو ان كان على منوال معاصريه من الفقهاء يسير ..

لقد اوردنا فى هذا الكتاب نصوصا مستفيضة مكتوبة، ومذاعة، مما نشره الشيخ الشعراوى فى الكتب، ومما بثه من التلفزيون .

اننا نعلم ان الاسلام مواجه بتحد لم يسبق له مثيل، من الانسانية المعاصرة، فهى تحتاج الإسلام، ولكنها انما تحتاجه يحل مشاكلها، ويشبع حاجتها، ويحل فى الارض السلام، والمحبة والاخاء، والرخاء ..

وذلك هو المحك الذى به يثبت الدعاة الاسلاميون المعاصرون صدق دعواهم، ان كانوا صادقين .

ومهما يكن من الامر، فان الاسلام قادر على مواجهة هذا التحدى، وهو المنتصر، فى نهاية المطاف، النصر العزيز .

(فأمّا الزبد فيذهب جفاء، وامّا ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) ..

وعلى الله قصد السبيل ..

الرق عند الشعراوى بـــاق :

ان الاسلام لمّا جاء وجد الرق فى المجتمع الجاهلـى يأتى من مصادر عديدة ، فجعل مصدره واحدا : هو الجهـاد الذى يقاتل فيه المسلمون الكفار .. فكان من يقع فى يـد المسلمين أسيرا يسترق .. ثم اوجد الاسلام فى تشريعه وجوها عديدة لتفتيت هذا الرق ، حتى يجىء اليوم الذى ينطل فيـه تماما ، وذلك بانتهاء مصدره .. فالرق ليس اصلا فى الاسلام ، وانما الاصل الحرية .. والحرية قد صودرت بالسيف فـى الماضى ، لان الناس قد اساءوا التصرف فيها .. وسيـرد التفصيل عن هذا الامر ، عند الحديث عن الجهاد ومرحليتـه ، فى غضون من هذا الكتاب ..

ولكن الذى يهمنا ان نؤكده هنا هو ان الناس ، اليوم ، بفضل الله ، ثم بفضل ما احرزوه من تقدم اجتماعى ، لا يخطـر على بالهم مطلقا ان يكون هنالك رقيق ، وانما هم يناضلـون ليرفعوا عن كاهلهم حتى صور الاستغلال الملطفة ، المتمثلـة فى الرأسمالية ـ هم لا يريدون ان يستغل مواطن عرق مواطن ـ آخر لزيادة دخله ، خل عنك ان يكون هذا المواطن (رقيقـا) ضمن المال الشخصى لمواطن آخر ، يتصرف فيه كما يشـاء يستخدمه ، او يبيعه !! لا !! هذا من المحال فى عالـم اليوم !!

وفى سبيل التحرر من كل صور الاستعباد والاستغلال يطالب الناس اليوم بالاشتركية ، والديمقراطية ، والمساواة الاجتماعية .. ولكن رغم هذا المطلب العصرى المدوى ، المتسق مـع لب الاسلام ، نجد الشيخ محمد متولى الشعراوى يتحدث عن ـ ميزة الرق الاسلامى ، مقارنا بين الرق والابقاء على الحيـاة وحسب !!

فهو فى كتاب (معركة التشكيك فى الاسلام) ص ٤٤ يقول :
(ان الرق الذى نتحدث عنه يأتى من المصدر الوحيد الذى ابقاه الاسلام وهو رق الحرب اذا قارنا بين رق وحرية تكون المقارنة خطأ انما نسأل لماذا جاء هذا الرق ، انه جاء فى الحرب ، حرب بين مؤمن وكافر وحين يدخل المؤمن مع الكافر فى سعار الحرب الحق سبحانه وتعالى لا يريد من المؤمن ان يسفك دما ولو كافرا فانه ما استأسر ليستأسر ولا يقتله فانه يجب ان تكون المقارنة بين رق وابقاء على الحياة) ..

ان الشيخ الشعراوى لم يتفطن الى اصل الاسلام فيرى مرحلية الرق ، ليصل ، من ثم ، الى ان الاسلام انما جاء ليجعل الناس احرارا ، ليس فقط من رقة بعضهم بعضا ، بل ليعتقهم من رق كل الاشياء ، حتى يغدو خالصين لله غير مدينين لأحد ، او لشىء غيره : (الا لله الدين الخالص) .. ولكن الشيخ الشعراوى ، وبما انه مقيم فقط على الفهم التقليدى للاسلام ، لا يملك ما يبلغ به هذا المدى الذى ينتهى فيه الرق ، ولذلك نراه يحاول فقط ابراز (حسن معاملة الرقيق) فى الاسلام ، ويقارن بين فقدان الاسير لحياته والابقاء عليه حيا وهو رقيق !!

فهو يقول ، فى المصدر السابق ص ٤٣ ـ ٤٤ : (ولا رق الا بحرب مشروعة) .. (وبعد ذلك حينما يبقى على حياته ويأخذ اسيرا ويكون رقيقا فما المعاملة الاسلامية التى يعامل بها ، انها ليست موجودة فى احدث النظم الانسانية) ..
ليس فى النظم الحديثة ،
ولا فى اصول الاسلام ، رق !!

نحن نعتقد ان الاسلام فى اصوله ، لا فى تشريعه الماضى ، يميز جميع الفلسفات المعاصرات بقامة تتقطع دونها الاعناق ، وذلك

بما يحقق للانسان المعاصر من الحرية و الكرامة ، ولكن الشيخ الشعراوى يتحدث عن صور من التشريع صلحت للمجتمع الماضى ذلك المجتمع الذى كان قد خرج لتوه من جاهلية غليظة متخلفة ، فأراد الاسلام ان يدرجه و يخرجه من تخلفه وغلظته ، هونا ما ، بذلك التشريع الذى قام على فروع القرآن لا على اصوله ..

ولذلك فان تلك الصور من التشريع ، ومن بينها (الرق) لا تصلح مقارنتها مع ما اسماه الشيخ الشعراوى (احدث النظم الانسانية) ، ذلك بأن هذه النظم قد جاءت بعد تطور كبير بلغه المجتمع الانسانى خلال اربعة عشر قرنا من الزمان ، وعلى هذا فان هذه النظم ، على علاتها ، ليس فيها للرق مجال ، لا بحرب ولا بغير حرب !!

بل ان اسرى الحرب الذين كانوا فى الماضى هم مادة الرق قد بالغت (النظم الانسانية الحديثة) فى حمايتهم و حفظ كرامتهم الانسانية ، وقد ضمن هذا فى الاتفاقات الدولية ، ومنها معاهدة جنيف الثالثة ـ ١٩٤٩/٨/١٢ ـ التى نصت فى المواد من ١١ الى ١٩ ، على : وجوب المعاملة الانسانية للأسرى ، احترام السلامة الشخصية ، توفير الغذاء و الكساء والمسكن و العلاج ، المعاملة المتساوية ، لجميع الاسرى ، الحفظ بعيدا عن مواقع القتال لضمان سلامتهم .. و فى كتاب القانون الدولى العام للدكتور على صادق ابو هيف جاء ما يلى ، فى باب معاملة اسرى الحرب ، ص ٨٨١ ، : (كانت الهمجية فى العصور الاولى تدفع الدول المتحاربة الى قتل الاسرى ، ثم روى بعد ذلك الانتفاع بهم فحل الاسترقاق محل القتل ثم اصبح يمكن افتداء الاسرى بالمال . واستمر التطور تحت تأثير فكرة الانسانية و الشرف حتى انتهى الى اقرار الاكتفاء بحجز الاسرى او وضعهم تحت المراقبة مع العناية بهم حتى يتقرر

الافراج عنهم فى نهاية الحرب وتخضع معاملة اسرى الحرب فى الوقت الحالى للقواعد التى وضعتها لائحة لاهاى للحرب البرية (المواد ٤ ـ ٢٠) و الاتفاقية جنيف المبرمة فى ١٢ اغسطس ١٩٤٩ بشأن معاملة الاسرى) انتهى ..

وهذا انما يدل على التدرج ، والتطور الذى مرت به معاملة الاسرى ، و ارتقت ، حتى بلغت هذه الصورة الرفيعة التى ليس هناك ما هو ارفع منها الا انتهاء الحاجة الى الحرب نفسها ، و ذلك امر مقضى بغير شك ، و ذلك بفضل الله ، ثم بفضل هذا التقدم الانسانى الذى سيتوجه الاسلام ..

ان الفهم الذى يطالعنا من حديث الشيخ الشعراوى عن (الرق) ، انما خلفه الزمن ، و تجاوزه الاسلام فى اصوله ، التى تصلح لانسانية القرن العشرين ، انسانية القانون الدولى ، و اعلان حقوق الانسان ، و الامم المتحدة .. هذه الانسانية التى سيلم بها الاسلام و ينفخ روحه المملاق فى حصيلتها الكبيرة هذه ، فيحقق بها المدنية الجديدة التى ستملأ بها الارض عدلا كما ملئت جورا ..

خلاصة القول هى أن الرق ليس اصلا فى الاسلام ، وانه كان لازمة من لوازم الحرب ، و واقعا موروثا من الجاهلية التى بعث الاسلام ليغيرها ، بالحكمة ، والتدرج ... و يحسن هنا ان نشير على القارىء بمراجعة كتاب (الرسالة الثانية من الاسلام) للاستاذ محمود محمد طه ص (١٢٤) ، موضوع: (الرق ليس اصلا فى الاسلام) ..

ان الشيخ الشعراوى يتحدث عن الرق و كأنه امر طبيعى ، يمكن ان يعود من جديد ، و هو يبث حديثه هذا حتى فى تلفزيون السودان ، فى الوقت الذى عانى فيه المجتمع السودانى فى الماضى الامرين من قضية الرق ولما يزل يعانى من رواسبه ..

الشعراوى يدافع عن الحكم الوراثى :

ان الحديث عن الاسلام انما ينبغى ان يكون من اجل بعثه من جديد ، فى مستوى قامة الانسان المعاصر ، ليقدم له ارقى ، انواع الحكم ، واكثرها تحقيقا لكرامة الفرد البشرى الذى عالجت الشريعة الاسلامية قضاياه بما يتناسب ومستوى المجتمع فى القرن السابع .. ولكنا نجد الشيخ الشعراوى ، فى حديثه عن الاسلام ، ينزل دون مستوى الشريعة نفسها .. ومن امثلة ذلك رأيه فى الحكم الوراثى ـ الملكى ، فهو يدافع عنه ، مع ان الامر فى الاسلام ، حتى فى الماضى ، واضح ومحسوم ، اذ لا وراثة فى الحكم ، بل ان السنة النبوية قد امتنعت حتى عن توريث المال : (انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة) ..

ولكن الشيخ الشعراوى يتجاوز هذا ، وغيره ، فيسوق دفاعا غريبا عن الحكم الوراثى .. فقد قال فى كتاب (الشورى والتشريع فى الاسلام) ص ١٩ ما يلى : (عندنا مثلا قضية وراثية الحكم التى تهاجم كثيرا الا يجوز ان نتركها بدون نص او رأى ، جاء لحكمة لا ندركها ؟ اليس من الجائز ان وراثية الحكم قد تمنع لغطا اجتماعيا وتطاحنا على السلطة واهتماما بها ربما لا يوجد اذا كان الحكم وراثيا) انتهى ..

ولكن ينبغى ان يكون واضحا ، ومفهوما ، ان الذى ظل يهاجم ، ومنذ ان تحولت الخلافة الى ملك عضوض ، انما هو الحكم الملكى ، وقد قال النبى فى ذلك : (الخلافة ثلاثون عاما ثم تصير الى ملك عضوض) .. فالملكية هى التى تورث الحكم ، وهى التى افسدت فى الارض ، وسفكت الدماء .. والاسلام من ذلك برىء ، فهو ضد توريث الحكم بشكل قاطع ، لا لبس فيه ، ولا غموض .. ثم انظر الى محاولته التزهيد فى الاهتمام بالسلطة !!

النبى ولبو بكر وعمر لم يورثوا الحكم:

وشاهدنا على ذلك قول النبى ، وعمله و عمل خليفته ، فقد اشار النبى صلى الله عليه وسلم فى ايامه الاخيرة ، اشارة واضحة ، فهمها الاصحاب ، بأن الامر من بعده انما يتولاه افضل النـــاس دينا ، ولقد وردت تلك الاشارة عندما قال فى مرضه الذى توفى فيه (مروا ابا بكر فليصلّ بالناس) .. وغضب عندما رأى مراجعة من بعض ازواجه فى هذا الامر فقال (انكنّ صويحبات يوســف ، مروا ابا بكر فليصلّ بالناس) !! وقد صلى بهم ابوبكر بالفعل .. وانما (السنة) ان يكون امام الناس فى الصلاة هو ولـى امرهم فى شؤونهم كلّها ، وفى قمة تلك الشؤون يجىء امر الحكم ، لانه وسيلة تنفيذ احكام الله ــ وفى سيرة ابن هشام ورد ان النبى فى مرضه الاخير قد خطب الناس فقال :ــ

(انّى عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا ، وبيــن ما عنده ، فاختار ما عند الله) .. قال ففهمها ابو بكر ، وعرف ان نفسه يريد ، فبكى وقال بل نحن نفديك بأنفسنا و ابنائنا ، فقال على رسلك يا ابا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الابواب اللاّئطــة فى المسجد فسدوها الاّ بيت ابى بكر ، فانّى لا اعلم احدا كان افضل فى الصحبة عندى يدا منه) انتهى .. وعلم الناس مــن ذلك ان امامهم ، وخليفتهم هو ابوبكر ، وعلى هذا بادر سيدنــا عمر ببيعته ، فى الوقت الذى كان كل منهما زاهدا فى الخلافة ، ورعا ، وخشية ، وتأدبا ، حتى ان سيدنا ابوبكر قد قال فــى سقيفة بنى ساعدة ، بعيد وفاة النبى ، مما يرويه سيدنا عمر: (قــد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ايهما شئتم ، واخذ بيدى وبيد ابى عبيدة ابن الجراح وهو جالس بيننا . ولم اكره شيئــا مما قاله غيرها ، كان والله ان اقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنــى ذلك الى اثم ، احب الىّ من ان اتأمّر على قوم فيهم ابوبكر) ..

وبسط عمر يده فبايع ابا بكر .. ثم لمّا حضرت ابا بكر الوفاة لم يجعل الامر وراثيا وانما وضعه فى يد افضل الناس بعده فاختار عمر: (وجعل يستشير فيه كل من دخل عليه من الصحابة ، فاثنوا عليه جميعا) .. ومما قاله سيدنا عثمان ابن عفان: (اللهم علمى به انسريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله) ، واملى هذا الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة ، فى الحالة التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر ، انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمى به ، ورأيى فيه ، وان جار وبدّل ، فلا علم لى بالغيب ، والخير اردت ، ولكل امرىء ما كسب (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) روى ذلك ابو داوود — وانما كان اختيار سيدنا ابو بكر لسيدنا عمر مبنيا على تفضيل النبى له ، ومما روى ان النبى كان كثيرا ما يقول: (كنت انا وابو بكر وعمر) ..

ثم وضع سيدنا عمر عند وفاته ايضا الامر فى ستة ليختاروا احدهم ، وهم قد كانوا افضل الناس .. ولم يجعل ابو بكر ، ولم يجعل عمر الامر فى ابنائهما ، وذلك اقتداء بالنبى ، ومعرفة بالدين ، بل ان سيدنا عمر قد اكد استبعاد وراثية الحكم تأكيدا ، فى توجيهه لهؤلاء الستة الذين اختارهم ، فيما رواه البخارى ، حيث قال له الناس: (اوصى يا امير المؤمنين !! استخلف ، قال ما اجد احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله وهو راض عنهم ، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن ، وقال: يشهدكم عبد الله ابن عمر ، وليس له من الامر شىء) .. ووجود عبد الله هنا ليرجح بصوته احدى الكفتين اذا تساوت الاصوات .

مخالفة السنّة و الشريعـــــة :

فلماذا اذن يناى الشيخ شعراوى عن السنّة، وعن الشريعة ليعطى للحكم الملكى شرعية و صلاحية يفتقدهما، ليس فى الاسلام فحسب، بل حتى فى مضمار الحكم المدنى، وفى وقت ينضح فيه الحكم الملكى، الحكم الوراثى، بالفساد و التسلّط، وفى وقت اخذت تتطاير فيه البقية الباقية من العروش فى كل حين .. ان الذى يجنّب الناس الازمات والتطاحن على السلطة، اليوم، انما هـــو النهج الديمقراطى المرشد، الذى لا يتيح للشعب اختيار رئيس حكومته فحسب، و انما يمكّنه ايضا من تنحية هذا الحاكم، اذا اساء اساءة تستوجب ازالته، و قد بينت الدساتير فى النظـــام الديمقراطى الغربى، رغم سلبياته، كيفية تنحية البرلمان لرئيـــس الجمهورية ..

هذا هو الذى يحدث فى القرن العشرين .. و بدلا من ان نقدّم الاسلام، فى مستوى الاصول، ليستوعب هذا المنهج المتقدم فى ممارسة الحكم، ليرشده، و يوجهه بمنهاج التربية، و يدعمـــه بالاشتراكية، يأتى الشيخ الشعراوى ليرجع بنا الى مستوى متخلّف من الحكم، ابته الشريعة، نفسها، للناس، حتى فى القرن السابع، فهو مثلا لا يرى فرقا بين الحكم فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب وبين الحكم فى العهد الاموى و العباسى .. بينما قد خرق فى العهد الاموى مبدأ اساسى فى الاسلام، بجعل معاوية ابنتـــه يزيد وارثا للحكم من بعده، و ارغامه صحابة اجلاء على مبايعتـــه، فلقد قرّر رأى معاوية على توريث الحكم لابنه يزيد، بأن اخذ له البيعة فى حياته، فأرسل رسله الى الامصار، يعلنون الناس بهذا الامر ليبايعوا يزيد، طوعا وكرها، مع ان اقرب الناس الى معاوية له رأى سىء فى يزيد، فعندما استشار معاوية فى هذا الامر، زياد بن ابيه اجاب معترضا: (و يزيد صاحب رسلة و تهـاون

مع ما قد اولج به من الصيد) ...

محاولة ارغام الحسين على مبايعة يزيد !!

ولم يأبه معاوية لهذا الرأى بل سعى فى سبيله ، فأمر باحضار السيد الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، ليضطرهم لبيعة يزيد ، وقال لهم : (فانى قد احببت ان اتقدم اليكم قد اعذر من انذر . انى كنت اخطب فيكم فيقوم القائم فيكذبنى على رؤوس الناس فأحمل ذلك واصفح ، وانى قائم بمقالة فاسم بالله لئن رد احدكم كلمة فى مقامى هذا الا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف) .. وقد اجابوه بأنهم يطالبونه بأن يختار احدى ثلاث خصال : ما كان من النبى ، او ما فعله ابو بكر ، او ما انتهى اليه عمر ، ولكنه لم يلق لهم بالا ـ راجع كتاب تاريخ الاسلام السياسى للدكتور : حسن ابراهيم جزء "١" ، ص "٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١" ـ وقد علق مؤلف الكتاب المذكور فى صفحة ٤١١ قائلا : (بايع الناس يزيد عدا هؤلاء النفر فقسا معاوية عليهم هذه قسوة شديدة وخالف شروط الخلافة وانتقل بها من خلافة اسلامية شورية الى ملكية وراثية) ـ الخط تحت الكلمات من وضعنا نحن ـ

خطأ تاريخى وتهوين وتطفيف للقيم :

وعلى هذا النحو المنحرف سار الامر فى العهد العباسى ايضا .. ولكن رغم هذا الانحراف الخطير الذى انتصر به اهل الدنيا على اهل الدين ، ولأول مرة فى تاريخ الاسلام ، رغم كل هذا يقول الشيخ الشعراوى بغير تردد : (وشكل الحكم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يختلف كثيرا عن شكله فى عهد عمر بن عبد العزيز او الحكم فى العهد العباسى) .. ان هذا ليس خطأ تاريخيا فحسب ، وانما السوء

تهوين لأمر خطير ، وتطفيف للقيم التي ركز عليها النبي ، وعض عليها خليفتاه بالنواجز .. فالنبي وخليفتاه كانوا يحرصون اشد الحرص على ان يتولى امر الناس افضلهم دينا ، على النحو الذي ذكرناه آنفا ، ويزيد بن معاوية وهو البعيد كل البعد عن الدين ، يورثه ابوه غصبة ، ويقسر افاضل الصحابة على مبايعته ، ويقتل يزيد هذا سبط النبي الحسين ، ظلما ، وعدوانا ، من اجل هذا الملك المغصوب ، من اجل ما اسماه الشيخ شعراوي (وراثية الحكم) ، ثم هو يريدنا بعد كل هذه الدماء الذكية التي اهدرها الامويون ثم العباسيون من بعدهم بسبب انحرافهم عن سيرة النبي ، وسيرة خليفتيه ، في اختيار الحاكم ، ان نظن ، وان نتوهم ان وراثية الحكم ـ اقرأ (الملكية) ـ تجنب الناس الفتنة والتطاحن من اجل السلطة ، فقد قال : (اليس من الجائز ان وراثية الحكم قد تمنع لفطا اجتماعيا وتطاحنا على السلطة ؟) ـ كتاب الثورة والتشريع ص ١٩ ـ نعم ، يقول الشيخ شعراوي هذا القول ، واسوأ من ذلك يقول ايضا : في نفس المصدر السابق الذكر (ما الذي يضيرني لو ان من اخترته للبيعة العامة وجعلته مأمونا على ديني وعلى امري ، استخلف عليّ من يراه هو اهلا لذلك المستوى ؟) .. ان هذا قول منكر اشد النكر في ثقافة عصرنا الحاضر وان صدوره باسم الاسلام من داعية اسلامي لمن الكبائر شديدة الضرر بالاسلام ..

تسليم السلطة للشعب
لا وراثية الحكم :

ان هذا المستوى الذي يريدنا الشيخ شعراوي ان ننحدر اليه لم يكن حقا ، ولم يكن صالحا ، حتى في القرن السابع ، لأن وراثية الحكم لم يعمل بها النبي ، ولم يعمل بها اكبر اصحابه ، ابوبكر وعمر ، ثم ان توريث الحكم يجيء ، في غالب

الاحوال ، بالقاتل ، الفاسق بالجارحة ، كما هو الحال مع يزيد ابن معاوية ، فكيف بنا ونحن فى اخريات القرن العشرين ، فى الوقت الذى صار فيه الشعار السائد هو تسليم السلطة للشعب ، باشاعة اللامركزية ، بالحكم الشعبى المحلى ، وبالحكم الاقليمى ، وحيث الالحاح فى الدعوة لأن يمارس رجل الشارع مسئوليته فى اختيار ممثليه ، فى اجهزة الحكم ، من قاعدتها الى قمتها ، وبهذه الممارسة تتم التوعية الشعبية ، ويتحقق صلاح الحكم حيث يكون الحاكم مواجها بمراقبة الشعب ، ومحاسبته المستمرة .

ثم انه لم يعد هناك ، بعد النبى ، رجل هو من الكمال بحيث يؤتمن على حريات الآخرين ، ولذلك حرص سيدنا ابو بكر ، مع رفعة شأنه ، ان يفتح اعين الناس على هذه الحقيقة ، فقال ، عند توليته الحكم : (ايها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فسددونى ، اطيعونى ما اطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم) .

يجب ان يتربى الشعب تربية الاحرار:

وفوق ذلك ، فان الاسلام ، فى اصوله ، فى حقيقته ، انما هو دعوة ، كله ، الى المسئولية الفردية ، واستنهاض الهمم ، ليضطلع كل فرد بدوره ، ليمارس العمل ، فيصيب ويخطىء ، ففى الحديث جاء : (ان لم تخطئوا وتستغفروا ، فسيأت الله بقوم يخطئون ويستغفرون ، فيغفر لهم) .. هذا هو النهلج الذى يخرج الاحرار !! واما ما يدعو اليه الشيخ شعراوى من التواكل ، والتهرب من المسئولية ، فانه لا يربى الشعب تربية الاحرار ، وانما يربيه تربية العبيد ، حيث يريد كل فرد من غيره ان يتحمل عنه مسئولية العمل .. اقرأ مرة اخرى قول شعراوى : (ما الذى

يضيرني لو ان من اخترته للبيعة العامة ، وجعلته مأمونا على ديني وعلى امري ، استخلف علي من يراه هو اهلا لذلك ؟) ، وانظر الى اى مدى هو بعيد عن حقيقة الاسلام وعن روح العصر ..

ان الذى يضيرك فى هذه الحالة هو انك سلمت حقك فى الاختيار لرجل غيرك ، وهذا ، فى حد ذاته ، لا يرضاه لك الاسلام الذى يريدنا ، خصوصا فى هذا العصر ، احرارا مسئولين ، لا امعات ، تابعين لغيرنا بلا فكر ، ولا عمل : (وضرب الله مثلا ، رجلين ، احدهما ابكم ، لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه ، اينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟) . هذا هو الفرق بين من يتخلى عن واجبه ، وعن مسئوليته فى حسن اختيار من يحكمه ، وبين من ينهض بهذا الواجب ، رافضا ان يكون كلا على احد غيره ، او ان يكون تحت وصاية رجل مهما كان مقامه ، ومهما كانت وظيفته !! هذا هو الموقف الذى يليق بالرجل الرشيد كما يريده الاسلام ، فى اصوله ، وكما تتطلبه قامة الانسان المعاصر المعلق ، الذى يريد شعراوى ، فيما يبدو ، ان يقسره على لبس قميص طفل صغير !!

واخيرا واسوأ من ذلك كله ، فانه مما يضير ان من نسلمه مسئوليتنا فى الانتخاب قد يخطىء خطأ فادحا ، بأن يختار من ورثته من يفسد فى الارض ، ويسفك الدماء ، كما حدث فى تاريخ الاسلام نفسه ، فى حال يزيد بن معاوية ، ومن خلفه من الامويين ، ومن العباسيين ، وفى هذه الحالة انما يكون مثل من يفعل ذلك (كمثل الشيطان ، اذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر ، قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) ..

ان العيب ليس فى الاسلام ، ولا فى الشريعة ، ولكن العيب

فينا نحن المسلمين ، الذين طال علينا الامد ، فاندثرت بيننا السنّة ، و لبّس الجهل علينا معالم الطريق ، حتى صار يستوى عندنا الحكم الملكى ، و الحكم على النهج النبوى الذى سار عليه الخلفاء الراشدون ...

حتى السلطنة العثمانية هى حكم اسلامى عند الشعراوى ؟ !

بل ان الشيخ الشعراوى ليرى فى (الخلافة العثمانية التركية) صورة مثلى ، و فى السلطان عبد الحميد شخصية الحاكم الذى ما كان ينبغى ان يفرّط المسلمون فيه فقد قال فى كتاب (الشورى و التشريع فى الاسلام) ص (٢٠) ما يلى :

(فمسألة القضاء على الخلافة العثمانية لم تكن سوى خدعة جازت على العرب ، و اذا رجعنا الى مذكرات هرتزل لوجدنا كيف كان السلطان عبد الحميد امينا على مصالح العرب و كيف قاوم مؤامرات الصهيونية لانشاء دولة اسرائيل حتى اجبروه على التنازل عن العرش) ..

فلماذا هذا الحنين الى عهد الخلافة العثمانية ، و هى ملكية ، وراثية ، غير اسلامية ، و هى فاسدة ، و قد بلغت اوج فسادها ، واستبدادها ، و تدهورها على يد السلطان عبد الحميد الثانى الذى يتحسّر الشعراوى على سقوطه .. و عبد الحميد هذا قد لقّب بالسلطان الاحمر لكثرة ما سفك من دم و قد خلع عام ١٩٠٩ ثم انتهت الخلافة او على الاصح ـ السلطنة العثمانية عام ١٩٢٢ ـ و قد كان السلطان عبد الحميد ، كسائر السلاطين العثمانيين الذين يتمسحون بالاسلام ، و يستغلّون عاطفة المسلمين للابقاء على حكمهم الملكى البعيد عن الاسلام .. و عن ذلك جاء فى دائرة المعارف الاسلامية مجلّد ٥ ـ ص ١٨٩ ما يلى : (و كان السلطان عبد الحميد يضع جل اعتماده

فى تقويسة مركز الخليفة على هذه النعرة الاسلامية بيد أن حاشية السلطان الذى كان ظنّه بالناس يزداد سوءا اصبحت على مر الايام من ارذل الخلق وكانت صيحات الوطنية تصادر بأقصى وسائل العنف واضطر كثير من المفكرين الى الالتجاء الى خارج البلاد) ..

وهل فى الاسلام ملك وعرش يتنازل عنه ، حتى يقول الشهراوى عن السلطان عبد الحميد (حتى اجبروه على التنازل عن العرش) ؟ ثم ان الحكم العثمانى ، وان لبس لبوس الاسلام ، فهو حكم علمانى .. فى قوانينه وادارته ، نصل عن الشريعة الاسلامية ، ويمم شطر النظم الغربية من غير ان يظفر منها بطائل .. وعن ذلك جاء فى دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٥ : (وادخل رشيد باشا بعيد عام ١٨٣٩ مباشرة نظاما جديدا للادارة فى الولايات على النسق الفرنسى (ثم عادت الدولة الى التعسف فى فرض الضرائب لأن بجايتها المباشرة لم تزود خزانة الدولة بالمال الكافى) ..

(وكان اول قانون عام هو القانون التجارى الذى صدر عام ١٨٥٠ وكان فى معظمه مأخوذا من القانون الفرنسى كما هو الشأن فى القانون الجنائى الصادر عام ١٨٥٨) انتهى ..

ويلاحظ ان الدولة سارت على النهج الغربى فى امر الاقتصاد فكانت الضرائب الباهظة التى اثقلت كاهل الشعوب المغلوبة على امرها هى مورد الدولة .. وطبعا ليس فى الشريعة ضرائب وانما هى الزكاة !!

ولقد كان الاتراك العثمانيون مستعمرين ، يسفكون فى هذا السبيل دماء المسلمين ، وقد رأينا كيف كانت استباحتهم لارضنا ودمائنا ، على يد محمد على باشا عام ١٨٨٢ ـ حيث اعطاه (الباب العالى) فى الاستانة فرمان فتح السودان !! ورغم

كل ذلك يتحسر الشيخ شمراوى على ذهاب هذه السلطنة ، ويحمّل مسئولية ذلك للاستعمار الغربى !!

مع ان الذى ذهب بهذه الامبراطورية هو فسادها الداخلى ، والذى اجبر عبد الحميد على التخلى عن السلطة هو مواطنوه من الشعب التركى اساسا ، وليس غيرهم ، حتى يقول الشيخ شمراوى : (حتى اجبروه على التنازل عن العرش) و هو يشير بذلك الى الاستعمار !!

ان الدور الاساسى فى خلع السلطان عبد الحميد ، ثم القضاء ، بعد ذلك ، على السلطنة ، والخلافة العثمانية ، نفسها ، انما يرجع الى الحركة الوطنية التركية ، والى الجيش التركى ، الذى تكون بعد القضاء على (الانكشارية) .. ولكى نعطى القارىء بعض معالم المناهضة الوطنية التركية للحكم العثمانى ، فاننا نورد هذه الفقرات ، نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الخامس ـ صفحة ١٨٩ ، ١٩٠ :ـ

(استطاعت المعارضة ، للاستبداد الآخذ فى النمو ، ان تنظم صفوفها فى ولاية مقدونيا التى كان يحكمها من عام ١٩٠٦ وال تركى تحت اشراف الاوربيين و اصبحت سلانيس مركز حركة تركيا الفتاة ، وكانت اكثر يقظة من سابقاتها ، يتزعمها حزب الاتحاد و الترقى ويناصرها الجيش الى حد كبير .. وقد شارك هذا الجيش مشاركة فعّالة فى تقوية الروح الوطنى التركى وكان له شأن خطير فى الثورة .

(ارغم نفوذ هذا الحزب السلطان على اعلان دستور مدحت باشا ثانية فى الرابع والعشرين من يونيو عام ١٩٠٨ و المبادرة الى الغاء الرقابة والتجسس . ثم حاول السلطان فى الثالث عشر من ابريل عام ١٩٠٩ استعادة ما كان له من نفوذ وعندئذ لم يجد انصار مذهب تركيا الفتاة بدّا من

احتلال العاصمة بواسطة الجيش المقدونى وخلع السلطان فى السابع والعشرين من ابريل) انتهى .

ولما دور الاستعمار فى القضاء على الخلافة العثمانية فهو دور مساعد وقد تمثل فى استغلاله لانهيارها ، وخروج ولاياتها عليها ، الواحدة تلو الاخرى ، فمكن لنفسه فى هذه الولايات ، بخاصة فى البلاد العربية ..

ومما يدل على قوة الحركة الوطنية التركية ، وعلى دورها فى القضاء على الخلافة ، النهضة التى شهدتها تركيا على يد كمال اتاتورك الذى انشأ الجمهورية التركية وقاد نهضة تركيا الحديثة ـ راجع دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٥ ـ .

الجهاد فى مفهوم الشعراوى:

ولما حديث الشيخ الشعراوى عن الجهاد ، فقد جانبه الحق ، والدقة ، فى كل جزئية من جزئياته .. وهو قد سار فى ذلك سيرة كثير من الدعاة السلفيين المعاصرين الذين يدعون ان الاسلام لم يفرض بالسيف ، وانما كانت حروبه دفاعية ، ضد من منعوا الناس من سماع دعوته ، وهم يسوقون هذا القول فى مواجهة هجوم المستشرقين الذين يتهمون الاسلام بالعنف والقسوة .. وليس الحق ، بطبيعة الحال ، مع هؤلاء المستشرقين كما انه ليس مع اولئك الدعاة السلفيين .. ذلك بأن الاصل فى الاسلام هو الاسماح ، ودعوة الناس بالحسنى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين) . وظل العمل على هذا الاساس فى مكة مدة ثلاثة عشر عاما ، ولما لم يستجب الناس للدين الجديد ، واصروا على عبادة الحجر ، وقطع الرحم ، ووأد البنت ، وقتل النفس ، وائتمروا بالنبى ليقتلوه ، جاء الامر بالهجرة الى المدينة ، ونسخت آيات الاسماح بآية السيف (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا ، واقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) . والحكمة وراء هذا النسخ هى حمل الناس على مصلحتهم التى لم يدركوها ، ومصادرة حريتهم التى اساءوا التصرف فيها ، ولم يكن هناك قانون لمصادرتها به ، ولذا لم يكن بد من السيف .. على ان يبقى الاصل المنسوخ مرجأ حتى يتهيأ الناس له ، وقد تهيأوا له الآن ، بفضل الله ، ثم بفضل ما بلغته الانسانية من تقدم فى مجالات الحياة المختلفة ، حتى لقد اصبح من غير العملى ، ولا من الحكمة الآن ، ان نحمل السيف فى وجه

الناس : امّا ان يسلموا ، وامّا ان يقاتلوا ، كما حدث فى الماضى ..

و الحق ، اذن ، هو :

١) ان الاسلام فى اصله ، فى الآيات المكية ليس فيه جهاد بالسيف لحمل الناس على الاسلام .. ولكن فى فرعه ، فى الآيات المدنية ، فيه قتال كبير ، لمن لم يسلم .

٢) ان بعث الاسلام فى هذا العصر انما يقوم فقط على الاصل — على الاسماح ..

و على ضوء هذا الذى قررناه من امر الجهاد ، و حكمته ، و مرحليته ، يصبح قول الشيخ شعراوى ، فى هذا الصدد ، مجرّد دعوى لا يحتاجها الاسلام ، ثم هى لاتغنى من الحق شيئا ، فاسمعه ماذا قال فى كتاب (حوار مع الشيخ شعراوى — اعداد احمد زين) ص ٨٣ : (هناك قوى كانت تحكم العالم و تفرض عليه اشياء وخرافات تقتنع بها فجاء الاسلام ليكبت هذه القوى و ليقول كلمته امام الناس ثم يطرح القضية على الناس قضية الحق قضية الدين الحنيف فمن آمن بها آمن بقلبه و من لم يؤمن ظلّ على دينه .. و لذلك نجد فى سياحة الاسلام فى هذه البلاد و وجدت امم من اليهود و امم من المجوسيين و امم من النصارى لم يتعرض لهم الاسلام و ظلّوا فى حماية منهج آخر ، لهم ما لنا و عليهم ما علينا ، و لو ان الاسلام فرض بالسيف كما يقولون لما وجد الا مسلم فى اى ارض يدخلها الاسلام .. فوجود غير المسلمين فى اراضى الاسلام .. لم يجىء لحمل الناس على مبدأ من المبادىء التى لا يستطيعها سلوكهم ولا يقبلها قلبهم انما اراد فقط ان يزيح المعوقات فى اختيار البدائل) انتهى ..

اللّهم ان فى هذه مجافاة بينة للحق ، ليس للشيخ الشعراوى عذر فيها ، اذ من له بقول الله تعالى : (فاقتلوا

المشركين حيث وجدتموهم)، وقوله ايضا: (ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلوهم او يسلمون) وقول النبى : (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا الا اله الا الله وان محمدا رسول الله)، فى مقابل قوله ـ اعنى الشعراوى ـ : (فمن آمن بها آمن بقلبه ومن لم يؤمن ظل على دينه) فأى القولين نصدق، قول الله تعالى، وقول رسوله، وما جرى عليه العمل فى الاسلام ام قول الشعراوى هذا ؟!

ان الله امرنا فى الماضى ان نقاتل المشركين اينما كانوا، ولا نقبل منهم بديلا عن القتال الا الايمان .. ويجىء شعراوى ليقول من لم يؤمن بالاسلام يظل على دينه !! ان هذا لا سند له البتة، لا من القرآن، ولا من الحديث، ولا من العمل الذى جرى فيما مضى .. وهذا معلوم من الشريعة بالضرورة، وهو فى وقته قد كان حكيما، ومبررا .. قال ابن كثير، فى تفسيره، عن آية السيف فى الجزء الثالث صفحة ٣٦٤ ما يلى : (وقوله : " واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " اى لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم بل اقصدوهم بالحصار فى معاقلهم وحصونهم، والرصد فى طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم الى القتل او الاسلام ولهذا قال : " فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ") . بل من قال للشيخ الشعراوى انه: (وجدت لهم من اليهود ولهم من النصارى ولهم من المجوسيين لم يتعرض لهم الاسلام وظلوا فى حماية منهج آخر لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ؟ الم يعلم الناس ان الله تعالى قد قال: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ؟ !

هذا يناقض قول النهي :

كيف يسوغ للشعراوي قوله ان هؤلاء ـ اهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ؟ أليس قوله هذا يناقض قول النبي الذي اشترط الاسلام على هؤلاء كي يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ؟؟ .. من الذي يخولنا ان ندع جانبا قول النبي ، في حديثه عن امر الله له بقتال الكفار : (فاذا شهدوا الا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واستقبلوا قبلتنا وذبحتنا وصلوا صلاتنا ، فقد حرمت علينا دماؤهم و اموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم) نعم من خولنا ان نترك هذا ، كي نقول عن اليهود و النصارى وهم على دينهم (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) كما قال شيخ شعراوي ؟ ـ الخطوط تحت الكلمات من وضعنا ـ فحين ، مثلا ، علينا الزكاة ، وهي عبادة وتطهير : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم ، و تزكيهم بها ، وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم) بينما عليهم هم (الجزية) وهي عقوبة ، الحكمة منها ان تدفعهم الى الايمان بالاسلام .. نحن اعزاء وهم اذلاء ـ (صاغرون) ـ جاء في تفسير القرطبي ، جزء ٨ ص ١١٤ : (قوله تعالى : " عن يد " قال ابن عباس يد قلبها بنفسه غير مستنيب فيها احدا . روى البحتري عن سلمان قال مذمومين . كما روى معمر عن قتادة قال عن قهر ، و روى اليد العليا هي المعطية فجعل يد المعطي في الصدقة العليا وجعل يد المعطي في الجزية سفلى) .. وهم محرم عليهم تولي امور المسلمين سياسية وعسكرية ، هذا هو وضعهم في الشريعة ، وهو وضع مرحلي اقتضاه قصور الامة في القرن السابع .. ثم من الذي يوافق الشيخ الشعراوي في قوله ان الاسلام في الماضي : (لم يجيء لحمل الناس على مبدأ من المبادىء التي لا يستطيعها سلوكهم

و لا يقبلها عقلهم انما اراد فقط ان يزيح المعوقات فـــى اختيار البدائل) ؟ (

هل هناك فى الشريعة فرصة للمشركين مثلا لاختيـــار البدائل ام هما خياران لا ثالث لهما ، اما الاسلام ، و امـــا القتال : (ستدعون الى قوم ، اولى بأس تقاتلوهم او يسلمون) .. هذا فى شأن الكفار من غير اهل الكتاب : و اما اهل الكتاب ، فهم اما ان يسلموا ، او يدفعوا الجزية ، او يقاتلوا .. فهـــو الاسلام ، و الا فالقتال او دفع الجزية .. فاين هذه البدائل التى يريدنا الشيخ ان نقول معه بوجودها لنظن ان الاسلام فى الماضى ترك للناس الخيار (؟

و ها هو ابن خلدون ، فى تاريخه ، المجلد الثانى ، يحدثنا عن غزو المسلمين بقيادة سعد بن ابى وقاص للفرس فينقـــل خبر الوفد الذى اختاره سعد لمخاطبة (يزدجر) ملك الفرس ، ليعرض عليه ، الاسلام او الجزية او القتال :

(فتكلم النعمان بن مقرن بعد ان استأذن اصحابـــه ، و قال ما معناه : ("ان الله رحمنا وارسل الينا رسولا صفتـــه كذا ، يدعونا الى كذا ، و وعدنا بكذا ، فاجابه منا قوم ، و تباعد قوم ، ثم امر ان نجاهد من خالفه من العرب ، فدخلوا معـــه على وجهين ، مكره اغتبط ، و طائع ازداد ، حتى اجتمعنا عليـــه و عرفنا فضل ما جاء به ، ثم امرنا بجهاد من يلينا من الامـــم و دعائهم الى الانصاف ، فان ابيتم فامر اهون من ذلك و هـــو الجزية ، فان ابيتم فالمناجزة ") انتهى . نعم فليس هناك بدائل فى الشريعة ، فى الماضى ، عن الاسلام ، سوى الجزية او القتال .

الفرق بين اسلام الاعراب و بين الايمان :

اننا نجد فى اقوال الشيخ شعراوى خلطا بين الاســـلام البدائى و بين الايمان .. فهو يقول : (فالقلب خارج عـــن

حدود السيطرة البشرية بحيث لا يستطيع انسان ان يكره انسانا آخر على ان يحبه او على ان يصدق فى شىء او على ان يعتنق مبدأ ما ، اذن فالاكراه ليس من مبدأ الاسلام ، والله سبحانه وتعالى قال لا اكراه فى الدين . ولا يعقل ان يحمل المسلمون السيف ليقوموا بشىء قد نهى الله عنه) ـ كتاب حوار مع الشيخ شعراوى ص ٨٣ ـ فهو لكى يصل الى النتيجة التى تقول بأن الاسلام لم يفرض الاذعان له بالسيف ، اخذ يستدل بالآية الكريمة التى تقرر ان لا اكراه فى الدين ، لكن من المعلوم ان هذه الآية ، وجميع آيات الاسماح ، منسوخة بآية السيف كما انه من المعلوم ، بداهة ، ان الاكراه فعلا لا يقع فى الايمان الذى فى القلوب وانما الاكراه واقع فى الاسلام الظاهرى الذى يسبق الايمان ، وهو اسلام الاعراب الذى لم تكن به عبرة عند الله ، وانما هو فقط ينجى من السيف ، وقد دخل به الملة اناس اكل النفاق قلوبهم ، وهم فى الظاهر محسوبون مسلمين : (قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) .. فالاسلام بهذا المستوى ، اكره الله ورسوله الناس عليه .. وقد بينا ذلك من قبل عند الحديث عن الجهاد .. ونحب هنا ان نشير الى ان هناك اسلاما اكبر من الايمان ، وكان عليه النبى : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك امرت ، وانا اول المسلمين) ..

الفتنة الكبرى والحروب الدينية وامانة التاريخ :

ان مما يؤخذ على الشيخ شعراوى فى حديثه عن تاريخ الاسلام ، قوله فى كتاب (الشورى والتشريع فى الاسلام) ص ٢٤ : (امّا عن الحروب الدينية التى ربما يجر اليها الحكم الدينى كما يرون ، فانى اقول لا توجد حرب دينية نشأت فى الاسلام

خلاف ما حدث ايام الخوارج) .. فهو قول غير صحيح ، ذلك بأننا حتى اذا قللنا ، بغير حق ، من شأن ما سمّى فى تاريخ الاسلام (بالفتنة الكبرى) التى اطلت برأسها فى الصدر الثانى من عهد سيدنا عثمان ، وادت الى مقتله ، و الى انقسام المسلمين على اثر ذلك الى فئتين ، فئة الى جانب على ، واخرى الى جانب معاوية ـ فئة اختارت الدين و اخرى انحازت الى الدنيا ـ اذا قللنا من شأن ذلك كله ، فهل نستطيع ان ننسى ما جرته هذه الفتنة من حروب: حرب (الجمل) و حرب (صفين) ومقتل كثير من الاصحاب ، بل قتل اسباط النبى على يد (يزيد) و من تبعه تقتيلا !؟ هل يغفل الناس كل هذا الذى حدث ، و يذهلون عن دلالاته ، لأن الشيخ شعراوى قال عبارته تلك غير الدقيقة: (لا توجد حرب دينية نشأت فى الاسلام خلاف ما حدث ايام الخوارج) ، مع ان الخوارج انفسهم قد ظهروا نتيجة للخلاف ، و للحرب بين على و معاوية ، و بالتحديد بعد موقعة صفين ، حيث قبل على التحكيم ، فاعترض عليه هؤلاء النفر ، فسموا من يومها الخوارج .. و فى ذلك يقول د. حسن ابراهيم ، فى كتابه (تاريخ الاسلام السياسى) ص ٣٨٦ ما يلى : (ويتضح مما تقدم ان الخوارج انما خرجوا على على و انشقوا عليه ، مع انهم كانوا بالامس من حزبه واعوانه ، لانهم كانوا يعتقدون ان عليا ، بويع بيعة صحيحة ، فلا معنى لقبول التحكيم مع جماعة خرجوا عليه) ..

لقد كانت موقعة الجمل هى بداية حروب الفتنة فى الاسلام ، و تلتها موقعة صفين .. حيث برز الخوارج .. و كل كتب التاريخ تقول بذلك ، بل علماء المتعلمين من المسلمين ، يعرفون هذا .. و قد جاء التعليق التالى فى كتاب (تاريخ الاسلام السياسى) ، المشار اليه آنفا ، ص ٣٦٦: (و قد استرسل المسلمون فى الفرقة والخصام و فتحوا باب الفتنة على مصراعيه ، فشهت بينهم

الحروب الاهلية ، وسفكت دماء الابرياء من المسلمين ، وتدخل الاشرار فى امور الخلافة وتستروا بستار الدين ليبلغوا مآربهم السياسية ، وغاياتهم الدنيوية) انتهى ..

الجهاز الديمقراطى هو الذى يحسم الخلاف حول السلطة :

ومهما يكن من الامر ، فان من العبر التى تستفاد من تلك الاحداث ان غياب الجهاز الديمقراطى ، الذى يستطيع الناس من خلاله ان يحسموا الخلاف حول السلطة ، هو من اهم العوامل فى وقوع ما وقع ، يضاف الى ذلك بطبيعة الحال ، حب الدنيا الذى غزا القلوب ، وانحطاط المسلمين عن القمة التى كانوا عليها ايام النبى وخليفتيه .. لكن وجود الاجهزة الديمقراطية ، فى القرن السابع ، كان ممتنعا ، لأن الوقت حينذاك ، لم يكن وقت ديمقراطية ، وانما كان وقت وصاية كما سنبين فيما يقبل من صفحات هذا الكتاب ..

ان الشيخ شمراوى يأتى بعد مضى ١٤ قرنا من الزمان ، ليرفض الاجهزة الديمقراطية !! لماذا ؟ لا احد يدرى . فهو يقول فى كتاب (الشورى والتشريع الاسلامى) ص ١٨ : (فالاخذ بالنظم الغربية السياسية اذن لا يصح ، ولا ينفع لأنها قد تصلح حين يكون الانتخاب بيعة سياسية يتقاتل عليها المتنافسون ، ولكنها لا تصلح حين يكون الانتخاب بيعة ايمانية) .. هذا ما قاله الشيخ ، وبطبيعة الحال ليس فى الاسلام ما اسمه الشيخ (بيعة ايمانية) تختلف عن (البيعة السياسية) ، وانما هو الحكم ، وهو السياسة التى ان انبنت على الاسلام ، اصبح الحكم اسلاميا ، وان ابتعدت الدين من شؤون الحكم صار (علمانيا) .. وما هى السياسة ، ان لم تكن خدمة الناس وفق الحق والعدل ؟ : (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم

الظالمون) .. ولعل الشيخ بعبارة (البيعة السياسية) انما عنى (البيعة العلمانية) .. على انه في العصر الحالى ليست هناك (بيعة) وانما هو الانتخاب والمسئولية الفردية .

الاسلام لا يرفض العرف الصالح :

ان رفض الشيخ شعراوى للشكل الديمقراطى الحديث هو خطأ مبين ، ذلك بأن الديمقراطية هى امثل صور الحكم ، وهى تراث بشرى خلصت اليه البشرية بعد ضراع طويل ، ومرير ، بين من استأثروا بالسلطة وبين معارضيهم من المستضعفين ، عبر التاريخ . والاسلام اولى من الرأسمالية الغربية بهذا الشكل الديمقراطى ، وذلك لأمرين :ـ

اولهما : ان هذا الشكل من الحكم تتحقق به كرامة الفرد وتصان حريته ، اذا احسن استغلاله ونفخ فيه الروح الاسلامى ..

ثانيهما : ان الاسلام لم يجىء ليركل كل تراث ، وكل عرف ، وانما هو مع العرف الصالح ، ومع التراث الذى يخدم مصلحة الانسان ، بشرط ان لا يكون فيه تعويق لفرض من اغراض الدين .. ولقد قال الله تعالى لنبيه (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين) ..

وفى هذا الصدد اثنى النبى على (حلف الفضول) الذى عقد فى الجاهلية ، وذلك لانه من المكرمات الانسانية التى هى فى الحقيقة ، دين .. وقصة هذا الحلف يرويها ابن هشام فى الجزء الاول من السيرة النبوية ص ٢٤ : (تداعت قبائل من قريش فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جدعان ابن عمر فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه او كانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك

الحلف " حلف الفضول ") . وكان هذا قبل البعثة بعشرين عاما .. وقال عنه النبى: (لقدشهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لى به حمر النعم ، ولو ادعى به فى الاسلام لأجبت)

وعلى هذا نقول ان النظام الديمقراطى الغربى ، لو لم يكن فيه الا تراضى افراد الشعب على طريقة اختيار حكامهم ، وطريقة عزلهم ، لكفاه !! فلماذا اذن يرفضه الشيخ شعراوى !؟ اليس الاسلام فى اصله ديمقراطيا ، (فذكر انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر) ؟؟ ثم ان الشيخ شعراوى بعد ذلك انما يتعامل مع العصر الحديث بمصطلحات وانماط من الحكم ، عفى عليها الزمن ، فاسمع تعريفه للحاكم فى كتاب (الشورى والتشريع الاسلامى) ص (١٥) :-

(فالحاكم فى كل زمان وكل مكان ليس الا وال عام يعين لكل مجال من يصلح فيه) ، او قوله فى المصدر السابق ص١٦ : (وكل اقليم له مفتى وامير وقاضى) ، (لما ما يثار عن تطوير الحكم واجهزة الحكم ، فلا يصح ان نأخذ به ، ما دام يوجد عندنا البديل) !! ولكن ، ما هو البديل هذا ، فى نظر الشيخ شعراوى ؟؟ ان البديل عنده ان ينقل الينا اليوم صورة الماضى حتى بعد ان انحرف بنو امية وبنو العباس بالحكم الاسلامى ، لنطبقها اليوم وبكل بساطة وعفوية .. فهو يعد - كما رأينا - الملكية - وراثية الحكم - والحكم عنده على يد عمر بن الخطاب ، وعلى - ايدى الامويين والعباسيين ، لا يختلف فى شىء ، فى الوقت الذى رشحت فيه عمر افضليته الدينية بشهادة النبى ، وبشهادة الخليفة الاول ابو بكر ، وبشهادة المؤمنين ، بينما الذى يرشح الحاكم فى عهد بنى امية والعباسيين انما هو النسب - الوراثة ، وان كان وارث الملك فاسقا متسلطا جبارا !! وقد قال النبى لأهل بيته : (لا يأتينى الناس بأعمالهم

و تأتوني بأنسابكم) ..

ليس للشعراوي فهم جديـــــد :

ان الذين يظنون ان الشيخ محمد متولي الشعراوي صاحب فهم جديد ، به يقدم الاسلام لانسانية القرن العشرين ، انما هم واهمون .. ذلك بأن قاعدة الفهم الصحيح ، الجديد ، للاسلام تقوم على ان القرآن ذو مستويين ، مستوى صلح لانسانية القرن السابع ، وهو مستوى الفروع ، ومستوى الاصول الذي عاشه النبي وحده ، وهو الذي يصلح لانسانية القرن العشرين .. و لكي نبعث الاسلام اليوم فان ذلك انما يعني ان ننتقل من النص الفرعي الى النص الاصلي ـ ننتقل الى سنة النبي ـ وبصورة اكثر تجديدا ، ان نجتهد فيما فيه نص ، فتطور التشريع الاسلامي في مجال نشر الدعوة ، وفي مجال الاقتصاد ، و السياســـــة ، والمرأة .. وبذلك يمكن ان يحل الاسلام مشاكل الانســـان المعاصر الذي اختلفت مشاكله عن مشاكل انسان القرن السابع ، بصورة تتقطع معها المقارنة ..

فما هو موقف الشيخ شعراوي من هذا الفهم الواعـــي ؟ انه على النقيض من هذا الفهم ، يقف بكليته مع الفهم السلفي التقليدي ، يكرر ما قاله السابقون ، فلا يضيف جديدا ، بل انه لينزل ، في غالب حديثه كما رأينا آنفا ، حتى عن مستوى الشريعة ، ومستوى ما كان عليه الاقدمون من الفقهاء ..

الاجتهاد فيما فيه نـــــص :

انه من اجل ان يحل الاسلام مشاكل العصر ، لا بد مـــن الاجتهاد فيما فيه نص ، لننتقل من آيات الفروع ، الى آيـــات الاصول ، على خلاف ما كان في الماضي ، حيث احكمت آيـــات الفروع ونسخت آيات الاصول لعدم مناسبتها لمجتمع القـــرن

السلبع ..

ولكن الشيخ الشعراوى لا يسير فى هذا الاتجاه، فهو يقول فى كتاب (الشورى والتشريع الاسلامى) ص ١٩ ما يلى : (ما دمت اعترفت بأن التشريع تشريع اسلامى يفهم اذن ان هذا التشريع من اله يعلم المصلحة جيدا فلا يقال المصلحة و النص لأن النص لا يدور الا على مصلحة حتى لو استعصى فهم المصلحة على ادراكى البشرى فكل نص اذن مصلحة امّا متى نبحث عن المصلحة ؟ حين لا يوجد نص وحين لا يوجد نص يكون الاجتهاد)

ان هذا الفهم انما كان يصلح فى الماضى ، حيث اقتضت حكمة الشارع الحكيم ان يحكم من الآيات ما يخدم مصلحة الناس فى ذلك الحين .. ولكن مصلحة الناس اليوم ، فى مجال السياسة ، و الاقتصاد ، و الاجتماع ، هى غير مصلحة اسلافهم الذين عاشوا قبل اربعة عشر قرنا من الزمان .. والله سبحانه وتعالى لا يشرع لكماله هو ، و انما يشرع لنقصنا نحن ، لينقلنا كل حين من النقص الى الكمال .. وما دام الامر كذلك يصبح من المحتم ان ننظر فى النص المحكم ، لنرى ان كان قد خدم غرضه و استنفده ، فننتقل ، من ثم ، الى نص جديد ، داخل القرآن يخدم المصلحة الحاضرة ..

ولنأخذ مثالا لذلك ، شكل الحكم ، فقد كان فى الماضى (حكم الشورى) ، حكم الوصى الرشيد على المجتمع القاصر ، وهو قد ناسب ذلك الوقت تماما ، وامّا اليوم فان البشرية قد تطلعت الى الديمقراطية ، و سارت فى مجالها خطوات واسعات ، لن تتراجع عنها ، ومن الخير الا تتراجع .. فما هو موقف الشعراوى من قضية الحكم فى الاسلام مثلا ؟ انه يقف ، كما يفعل السلفيون ، ضد التطور ، فيرفض الشكل الجديد ، و يرجع بنا الى صور من الحكم حتى الشريعة ترفضها ، كما رأينا فيما سبق من صفحات

هذا الكتاب .. قال الشيخ شمراوى فى المصدر السابق ص ١٧: (لا تصح الشورى فيما ورد فيه نص محكم ، وانما تصح فيما لم يرد فيه مثل هذا النص) .. ان قول الشيخ هذا لا يدل على فهم لحقيقة الاسلام ، وهو من ثم ، لا يصلح كداعية لبعث الاسلام فى هذا العصر .. ذلك بأن الشورى كما قلنا ، هى حكم الوصى الرشيد على مجتمع قاصر ، وقد اقتضتها حكمة الاسلام لمجتمع القرن السابع القاصر ، الخارج من جاهلية غليظة ، كانت تقطع الرحم ، وتدفن البنت حية ، وقانونها من غلب سلب .. وهذه الوصايا فى الحكم انما هى امتداد للوصاية العامة التى جعلها الاسلام للنبى على الكفار ، وذلك عندما جاء الامر فى المدينة بالجهاد حيث قال الله تعالى : (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا ، واقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فخلّوا سبيلهم) .. ومن هنا قال النبى (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا الا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويصوموا الشهر ، ويحجوا البيت لمن استطاع اليه سبيلا ، فان فعلوا عصموا منّى اموالهم ودماءهم الا بحقها وامرهم الى الله) .

هذا هو مستوى الفروع ، وقد تنزّل من مستوى الاصل الذى عرض على الناس فى مكة لمدة ثلاثة عشر عاما ، فظهر عمليا انهم دونه .. والاصل انما هو الاسماح ، وتحكيه آيات منها : (وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر !!) ، و (فذكر انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر) .. نحن امام مستويين ـ امام نصين ـ : نص محكم ، ونص منسوخ .. النص المحكم هو نص الجهاد : (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .. والذى تنزل منه ايضا ، فى مستوى الحكم ، نص الشورى : (فبما رحمة من الله لنت

لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله) كما تنزل من هذا المستوى وصاية الرجل على المرأة: (الرجال قوامون على النساء، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) .. والشورى غير ملزمة للحاكم، ان شاء اخذ بها وان شاء رفضها – هي ليست ديمقراطية لأن الكلمة الاخيرة فيها انما هي للوصي.

الاسماح .. والديمقراطية لانسانية اليوم:

فاذا ذهبنا اليوم مذهب الفهم السلفي الجامد، فاننا يجب ان نقف مع النص المحكم فلا نجتهد فيه، وهذا هو نفسه مذهب الشيخ شعراوي حسب قوله السابق. ففي مجال الدعوة للاسلام يجب ان نشهر السيف: فاما الاسلام واما القتال، وفي مجال الحكم فالامر هو حكم الفرد الوصي .. وقد تورط الشيخ شعراوي في خطأ بيّن حين اتجه ليقول ان الاسلام لم يحدد شكل الحكم، فقد قال في الكتاب المذكور آنفا ص ١٩: (لم يرد نص محكم في القرآن بشأن قضية الحكم كذلك لم يرد رأي بشأنها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم) .. ومما سقناه آنفا من الآيات ومن الحديث يتبين ان هناك نصا محكما يحسم قضية الحكم، وقضية الدعوة حيث يقرر القرآن، ويقرر الحديث وصاية النبي على الناس جميعا، مؤمنين وغير مؤمنين .. هذه هي معالجة الاسلام الحكيمة لقضية الدعوة والحكم في القرن السابع وهي: قطعا لا تصلح لانسانية القرن العشرين، وانما الذي يصلح لهذه الانسانية هو آيات الاصول – الآيات المكية – حيث الدعوة بالاسماح، وحيث الديمقراطية.

نص حديث الشيخ متولى الشعراوى
الذى بثه التلفزيون السودانى
يوم الاربعاء ١٩٨١/٧/٨

نثبت فيما يلى حديث الشيخ شعراوى ثم نعلق عليه:

(هناك شىء يتلقفه المستشرقون ليدخلوا به على جنس من اجناس الاسلام هو المرأة فيقولون ان الله فى الجنة ظلمكن ايتها النساء لأن الله جعل للرجال زوجات مطهرات، وجعل للرجال حورا احيانا وانتم ما حظكم، كل هذا ليثبتوا ان الله خص الذكور بشىء من النعمة ولم يخص النساء بنعمة مماثلة لها، ودخلوا من جهة يظنون انهم يستميلون بها المرأة ليحرضوها على الاسلام ونسوا ان الله سبحانه وتعالى فى ذلك يكرم المرأة، لأن المرأة الكريمة على نفسها لا تقبل ولا تحب ان يتعدد عليها الرجال، اذن فالحق سبحانه وتعالى حين لم يعطها تعددا فى الصنف المقابل لها انما كرمها واعزها ولم يجعلها نهبا لكل فحل يريد ان يطأها وانا لنجد ايضا فى نساء الدنيا من تسمو نفوسهن وتأبى كرامتهن حتى اذا مات زوجها ان يتعدد عليها رجل آخر ولو بما احل الله. اذن فذلك من كرامة المرأة وهم يريدون المرأة هلوكا على لون من الشهوة، فهم يريدون ان يدخلوا فى روعها ان الله حرمها ذلك ونسوا ان الحق سبحانه وتعالى كرمها بهذا تكرمة تشهد لها بأنها عفيفة وبأنها عزيزة لا تحب ان يتعدد عليها الرجال. "قلت" قلت لمن سألنى مرة ونحن فى امريكا وقد جاء لى بهذا الاعتراض واعتراض تعدد المرأة بالنسبة للرجل وعدم تعدد الرجل بالنسبة للمرأة، اده النقاش الى شىء يتعلق ايضا بالدنيا، قالوا لماذا تتعدد المرأة فى الزواج من رجل واحد

ولا يتعدد الرجال على المرأة الواحدة مقابلة !! قلت لهم سألتكم بالله اعندكم فى بلادكم اباحة للبغاء ؟ قالوا هنا فى بعض الولايات اباحة للبغاء ، فقلت كيف تحتاطون لصحة الناس ؟ قالوا بالمباشرة الصحية ، يكشف على الفتاة التى تتعرض لذلك كل اسبوع مرتين ونفاجأ بما لا حصر له ولا عد لنتأكد من سلامتها من الامراض لتضمن صحة المترددين عليهن ، قلت ، كلام جميل ، هل كشفتم علىّ كل امرأة متزوجة كل اسبوع ولو مرة وكل شهر ولو مرة ؟ قالوا : لا ، ولماذا ؟؟ لا تكشفون على المرأة المتزوجة ولو كل شهر مرة ؟ قالوا لانها لا تتعرض لميكروب خبيث ابدا ، قلت : ولم ذلك ؟ قالوا لأن الماء ماء واحد وهو ماء الزوج . اذن ! فالخبث فى الامراض لا يتعدد الا من تعدد ماء الرجال فى المكان الواحد . قلت اذن فصدق الله خلقه حين اباح ان تتعدد المرأة ولم يبح ان يتعدد الرجال .

قلت لهم : اجيبونى ايضا اذا كنتم قد ارحتم الشباب بأن جعلتم لهم مكانا يريحون فيه غرائزهم فأبحتم لنساء ان يجلسن ليتردد الشباب عليهن .. انتم صنعتم جميلا فى الشباب ولماذا لم تجعلوا مكانا يجلس فيه شبان لتأتى الفتيات لتريح نفسها ايضا من عناء الغريزة الجنسية ! كما ارحتم الشبان فأريحوا الشابات !! قالوا لم يحدث ذلك ابدا . ولماذا ؟! .. انكم بالفطرة علمتم ان ذلك يزرى بالمرأة فلم تصنعوا هذا مع كونكم ملحدين وكافرين بالله ، اذن فالفطرة السليمة لا تفكر فى هذا الامر اطلاقا ، بأن يجلس شبان لتأتى فتيات ليرحن انفسهن من عناء الغريزة ، اذن فحين يأتى الحق ليعطى الازواج زوجات مطهرة ولا يأتى بذلك للمرأة ، ذلك معناها امتداد لصيانة كرامة المرأة وعزة المرأة وحينئذ نحسن الظن بكل ما شرع الله لنا فى الدنيا ونحسن الظن بكل ما اعد الله

لنا فى الآخرة) انتهى ..

الاسلام و المرأة المعاصـــــرة:

اننا لن نسهب فى متابعة هذه الغثاثة التى صدرت عن الشيخ شعراوى ، وبثها تلفزيون جمهورية السودان الديمقراطية على آلاف الاسر السودانية المحافظة الحيية .. فهى تعلن عن نفسها ، عن رداءتها و جهالتها وزيفها .. ان الشيخ شعراوى ، اراد او لم يرد ، قد طمس وجه القضية التي واجهته بتحد لم يتوقعه ، فانصرف عن جوهرها الى ابتذال فى المعانى ، و الالفاظ ، لا يليق صدوره من احد ، مهما كان مستواه ، خل عنك ان يصدر من رجل ينسب الى العلم ، والى الدين ، و هو يطرق قضية هى اخطر قضايا الارض ، و اجلها ، على الاطلاق .. ذلك بأن الاجابة كان ينبغى ان تذهب لتبين الحكمة فى تشريع تعدد الزوجات فى الاسلام ، و مرحليته و لتؤكد ان التعدد ليس هو الاصل فى الاسلام ، و انما الاصل فى الاسلام : المرأة الواحدة للرجل الواحد . فمن اسباب تشريع التعدد هذا ان الاسلام ، لما جاء ، وجد الرجل يتزوج العشر والعشرين زوجة ، و كان عدد الرجال دائما اقل من عدد النساء ، لما تأكل الحروب منهم .. ففى مثل هذا الوضع لأن يكون للمرأة الربع فى رجل ، خير من ان تظل عانسا تتعرض لعاديات الايام ، من الجوع ، والسبى ، والفساد .. ثم ان الاسلام قد وجد المرأة تدفن حية خوف العار ، فحرم ذلك ، و قيد التعدد بأربع ، وحتى هذه نفر منها فى الآية التى تبيح التعدد ، فقال تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) .. ثم ذاهب ، اكثر من ذلك ليشير الى ان الاصل هو الزوجة الواحدة ، حيث قال تعالى : (و لن تستطيعوا ان تعدلوا بين

النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ..

هكذا كان ينبغى ان تتجه الاجابة ، ولكن الشيخ شعراوى — وفاقد الشيء لا يعطيه — لا يملك لمثل هذه الاجابة ادواتها ، فهو لا يعدو مستوى اخوانه الباقين من الفقهاء والسلفيين ، ومع ذلك فان كثيرا من الناس ، حتى ممن يسمون المثقفين ، ينخدعون ببهرج هذا الشيخ ويظنونه صاحب فهم اسلامى متحرر ، وعميق .

هذا هو وجه القضية .. حقوق المرأة المعاصرة ، فى الاسلام ، ماذا عند السلفيين من فهم لها ؟ فلقد فرغ الناس ، ومنذ زمن بعيد ، حتى فى الجاهلية ، من تحريم تعدد الازواج وذلك لأسباب تتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، ادناها حفظ الانساب ، ورعاية الاسرة .

هل فى الاسلام فرصة لتتساوى المرأة مع الرجل ، ليس فى جانب (تعدد الازواج والزوجات) كما ذهبت عبارة الشيخ المسفة ، وانما فى جانب ان تكون المرأة الواحدة للرجل الواحد ، وان تملك هى حق الطلاق كما يملكه هو ، وان يكون القيم على كليهما هو القانون الدستورى ، فلا وصاية ولا قوامة من احد على الآخر ؟ ؟ نعم ، هذا هو السؤال ، وفى الاسلام ، فى اصول القرآن ، تكمن الاجابة المستبصرة .. فللمرأة الحق المتساوى امام القانون ، وفى العلاقة الزوجية على الخصوص .. ولمزيد من شرح هذا الرأى يمكن الرجوع الى كتاب (الرسالة الثانية من الاسلام) ، وكتاب (تطوير شريعة الاحوال الشخصية) للاستاذ محمود محمد طه ، ففيهما تفصيل واف مبنى على ارضية ثابتة من القرآن والسنّة .

لا تعدد زوجات فى الجنة :

ان الشيخ شعراوى لم يجد جوابا حين ووجه بأن الرجل

فى الجنة يكون له عدد وفير من الزوجات، من الحور العين، فلم يسعه الا ان يقول: (نحسن الظن بكل ما شرع الله لنا فى الدنيا ونحسن الظن بكل ما اعد الله لنا فى الآخرة) .. ومما اعد للرجل الصالح فى الآخرة طبعا، فى فهم الشيخ، الزوجات الكثيرات !! ولكن !! نحن نقول للشيخ ان ليس فى الجنة تعدد زوجات !! وانما هى الزوجة الواحدة للزوج الواحد (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) زوجتك هى انبثاق نفسك عنك خارجك .. هى واحدة، فى (الحقيقة)، وتطلب ان تكون واحدة فى (الشريعة) ..

وفى الجنة ما ظنه الناس تعدد زوجات ما هو بذاك، ولكن الزوجين يجد كل واحد منهما، فى صاحبه، كل ما يخطر على قلبه من وجوه الحسن والطيبة .. تتلون وتتعدد الزوجة، ويتلون ويتعدد الزوج، بعدد ما يرد، فى ذهن كل منهما من الصور التى يحبها، كل على حسب مقامه عند ربه (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) .. وهذا التلون، والتنوع، والتعدد فى الشخصية الواحدة، هو البديل عن التعدد. وهو ما جرى التعبير عنه بالحديث عن كمال الحور، وحسنهن ..

الحور ما هن !!؟

والحور اللاتى يرد ذكرهن فى القرآن — وزوجناهم بحور عين — لسن من جنس آخر غير جنس الانسان، وانما هن النساء انفسهن، وانما اخذن هذا الاسم، والوصف، لكونهن فى الجنة طاهرات دائما، ومبرآت من المحيض اصلا .. ودونكم القرآن (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .. فلو لم يكن الزوجات، والازواج، من نفس

جنس الرجال والنساء ، فكيف تكون المودة والتآلف بينهم ؟.

المساواة امام الله :

ان المرأة فى الآخرة مساوية للرجل فى المسئولية الفردية : (ولا تزر وازرة وزر اخرى) .. او (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل شىء ولو كان ذا قربى) . وهذه المساواة ان كانت فقدتها فى الدنيا بسبب قصورها وبسبب تخلف المجتمع فى القرن السابع ، فهى لن تفقدها اليوم ، ومن باب اولى لن تفقدها فى الآخرة ، فى الجنة ، فهى ستكون متساوية مع زوجها كما هى متساوية معه فى الحساب امام الله ، ثم ان الامر صائر ، وسائر الى الفردية ، لا الى التعدد ، وفى ذلك يقول تعالى : (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد احصاهم ، وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) .. فمبدأ الزوجة الواحدة للزوج الواحد ، هو الاقرب ايضاء الى التوحيد .

ان المساواة بين الرجل والمرأة ، امام الله يوم الحساب ، لا يستدل به على صحة ، وضرورة المساواة بينهما فى الجنة وحسب ، بل فى هذه الحياة ايضا ، فى عصرنا الحاضر ، حيث تخرجت المرأة (من الجامعة) بعد ان خرجت فى القرن السابع من (الحفرة) .. فلا يصح الآن ، عقلا ، كما لا يصح دينا ، فى الفهم الواعى للاسلام ، ان يجمع طبيب ، مثلا ، فى عصمته اربع طبيبات ، وهن المساويات له فى تحصيل العلم ، وفى الدخل المادى ، وانما الذى يصح عقلا ، ودينا ، وبه تتحقق السعادة للفرد ، والمنفعة للجماعة ان يكون الزوج الواحد للزوجة الواحدة ، الا فى حالة الضرورة ـ انظر : (تعدد الزوجات ليس اصلا فى الاسلام) من كتاب (الرسالة الثانية من الاسلام) ص ١٢٦ .

اقدس القضايا يتناولها شعراوى تناولا عاميا :

ان النقص ، و الخلل لا يحتوش فقط النظرة الدينية عند الشعراوى ، وانما يمتد ذلك حتى لمعلوماته الصحية فهو قد يجنح الى غثاثة العبارة ، خطأ فى المعلومات الصحية ، فقد قال متباهيا فى مواجهة الامريكان ، الذين نعتهم بالكفر و الالحاد ، و هم المسيحيون ، مبينا لهم ، فى زعمه ، فائدة عدم التعدد بالنسبة للنساء ثم هو يعقد المقارنة بين التعدد فى الزواج والتعدد فى البغاء : (اذن فالخبث فى الامراض لا يتعدد الا من تعدد ماء الرجال فى المكان الواحد ، قلت : اذن فصدق الله خلقه حين اباح ان تعدد المرأة ولم يبح ان يتعدد الرجال ..)

و الاطباء ان اطلعوا على قول هذا الشيخ سخروا منه ، ذلك بأن المرض هنا سببه الميكروب الذى قد تحمله المرأة ، و قد يحمله الرجل ، بسبب البغاء ، او بسبب الوراثة ، فى امراض معينة .. ان النفس لتتأذى من متابعة هذه الغثاثة التى تفضح بها كلمات هذا الشيخ عن امر المرأة و علاقتها بالرجل .. فعلاقة الرجل بالمرأة فى الزواج علاقة مقدسة يحوطها الحفظ والرفعة فاذا خاض فى امرها احد ، بمثل ما خاض الشيخ شعراوى ، فانه يفسد و لا يصلح ، و يحط من القيم و لا يرفع ..

و فى ختام هذا التعليق نحب ان نسوق هذه الفقرات عن شرف علاقة الرجل بالمرأة فى الزواج : (هناك شريعة تقوم على اصول الدين و متعلقها آيات الاصول فهى منها تنبعث و عليها تستند .. والزواج فى هذه الشريعة يقوم على الكفاءة بين الرجل والمرأة .. الزواج هنا انما هو ترسيم للعلاقة

القائمة في (الحقيقة) .. زوجتك هي صنو نفسك .. ويمكن تعريف الزواج هنا بأنه شراكة بين شريكين متكافئين ومتساويين في الحقوق والواجبات) .. (انفعال الانوثة بالذكورة وهو ما يسمى عندنا (بالعلاقة الجنسية) وهي علاقة عظيمة الشرف لانها حين تقع بشريعتها بين الاطهار والرفعاء العارفين بالله تكون ثمرتها المباشرة تعميق الحياة ، واخصابها ، ووصلها بالله بغير حجاب ، وهذه هي ذروة اللذة ، وتكون ثمرتها شبة المباشرة المعارف اللدنية التي تفاض ، والتي تثمر الذكر والانثى اللذين تقع بينهما هذه المشاركة النظيفة الرفيعة ثم تكون ثمرتها غير المباشرة الذرية الصالحة من بنين وبنات) .. الخ ، من كتاب (تطوير شريعة الاحوال الشخصية) ص ٦٠ .. وليقارن القارىء بين هذا التناول العلمي الدين لعلاقة الزوج ، وبين ذلك الاسلوب العامي الذي تناول به الشيخ شعراوي هذا الموضوع ..

حكمة العبادة

نشرت جريدة اخبار اليوم المصرية هذه الكلمة بتاريخ ١٩٨١/٧/٤ :-

الشيخ شعراوى يقول لك

صومك خالص لوجه الله متى ؟

كتب الله سبحانه وتعالى الصوم على الناس وجعله من ارقى العبادات فجعله لنفسه وهو يجزى به فكيف يعرف الصائم ان صومه خالص لوجه الله تعالى او ان صومه غير خالص ؟

ومن الجزء الثانى من الفتاوى للشيخ محمد متولى الشعراوى والذى يصدر خلال شهر رمضان المبارك الحالى يجيب على هذا التساؤل قائلا: (الحكمة فى كل امر تكليفى لمن آمن به علته الامر فالمسلم يفعل كذا لأن الله سبحانه وتعالى قال له افعل كذا ولا تفعل كذا)

وهل حكمة الامر عند المأمور به ام عند الآمر ؟

وهل يعلم الطفل الحكمة فى جرعة الدواء المرة حيث تشفيه من مرضه ؟ انما الطبيب الذى وصفها له هو الذى يعلم الحكمة فيها ومنها والمسلم يصوم لأن الله سبحانه وتعالى قال له صم .. وحذار من تعليق الحكم على علته .)

والذى يصوم لأن صومه يشفيه من علته نقول له صومك ليس عبادة وليس ناشئا عن ايمان ، انما ذلك صوم ايمان بعلة الصوم وليس بالصوم نفسه .. اذن فالاصل فى المؤمن ان يقبل الامر من الله دون علة الامر . ولا يعلق عمله على هذه العلة حتى تكون عبادته خالصة وصومه خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى) انتهى

اجابة الشيخ دون مستوى الشريعة:

ولكي ندلّل على قصور حديث الشيخ شعراوي، حتى عن المستوى المبذول من الشريعة، ومن السنّة، شأنه في ذلك شأن زملائه ممن يسمون (العلماء)، فانّا اثبتنا آنفا نص اجابته على سؤال حول حكمة الصوم، وصحته، حيث قال: (الحكمة من وراء كل امر تكليفي لمن آمن به علّته الامر فالمسلم يفعل كذا لأن الله سبحانه وتعالى قال له افعل كذا ولا تفعل كذا وهل حكمة الامر عند المأمور به لم عند الآمر ؟؟) .. ان هذه الاجابة ما هي الّا انصراف عن مواجهة هذا التساؤل بما يليق به من تبيين غرض هذه العبارة وحكمتها .. ونحن هنا لا ننتظر من الشيخ تبيينا يمس دقائق اسرار الصوم، فذلك لا ينال بحيلة الدراسة الفقهية التي هو عليها، وانما ذلك ينال بالتقوى: (واتقوا الله و يعلّمكم الله)، ولكنّا نطلب منه الّا ينزل عن مستوى العلم النظري الذي يفني الاشياخ اعمارهم في دراسته وتحصيله ثم لا يظفرون من ورائه بطائل، مع انه علم مبذول في الكتب، وفي متناول يد كل دارس .. وفي هذا الباب فان النبي قد بيّن لنا بعض اسرار الصوم، وبعض الحكمة من شرعه، كما ان النهج العام في الاسلام انما هو محاولة اقناع الناس ومخاطبتهم، على قدر عقولهم، بالفائدة التي تعود عليهم، دنيا واخرى، من وراء ما يفرض عليهم من الشريعة ..

وظيفة الصوم:

واول ما يريد الاسلام للمسلم ان يعلمه عن الصوم هو انه وسيلة وليس غاية في ذاته، هو وسيلة لكبح جماح النفس وترويضها على مخالفة هواها، وتخليصها من كثافتها الحيوانية ..

وفى ذلك يقول النبى : (ان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالصوم) .. ولم يقل ابدا كما قال الشيخ شعراوى : (والمسلم يصوم لأن الله سبحانه وتعالى قال له صم) ، وإنما ادخلنا ، صلى الله عليه وسلم ، فى الصورة وجعل لعقلنا رعاية اذ حدد لنا وظيفة الصوم العامة ، وهى تقليل الدم فى الجسم ، وهذا ينتج عنه تنبه فى الشعور ، وشحذ للذكاء ، يؤدى الى قلة المنام ، فيساعد على صلاة الليل وهى سنة النبى التى كان عليها فى سائر ايامه ، ولكنها فى رمضان اوكد منها فى غيره ، ولذلك جاء الحض عليها فى الحديث : (من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .. وتضييق مجارى الدم على الشيطان انما هو افساح لقوى الروح لكى تبرز ، وتسود بنية الانسان كلها ، جسمه وقلبه وعقله . وهذه الثلاثة هى ادوات السير الى الله ، وغرض العبادة انما هو توحيدها ، واتساقها بحيث تنتظم الوحدة الفكر والقول والعمل .. وللصوم فى ذلك دور هام ومتمم لدور الصلاة ، جاء ذكره فى كتاب : (تعلموا كيف تصلون) للاستاذ محمود محمد طه — فليرجع اليه ..

البشرية بين الامس واليوم :

لقد حاول الشيخ شعراوى ان يلبس على السائل ، ويبهره ويذهله عن بساطة السؤال ، وبساطة الاجابة التى كان من المفروض ان تكون حاضرة لديه ، وهو الذى يتصدى لوعظ الناس ، وتعليمهم ، واكثر من ذلك ، يوهمهم بأن هناك فهما جديدا للاسلام يجدونه عنده .. فقد قال : (هل يعلم الطفل الحكمة فى جرعة الدواء المر حين تشفيه من مرضه ؟! انما الطبيب الذى وصفها له هو الذى يعلم الحكمة فيها ومنها) .. واول ما يلاحظ هنا ان الشيخ ضرب المثل بالطفل وتجاهل

وجود (الرجل الرشيد) ، الذي قد يعلم الكثير عن مرضه ، وعن الحكمة في مرارة الدواء ، وقد يزيده الطبيب البارع علما على علمه ..

نعم ، ان العلم المطلق والاحاطة بالحكمة ، هما لله وحده ، ولكنه تعالى انما يشاء لنا كل يوم ان نعلم من علمه ، على قدر استعدادنا ، فقد قال تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقال ايضا : (وقل رب زدني علما) ..

ثانيا : اذا كان الدين في الماضي قد عامل البشرية القاصرة معاملة الطفل فانه اليوم ، وفي اخريات القرن العشرين ، انما ينبغي ان يخاطبها مخاطبة الرجل الرشيد ، وحديث النبي في ذلك واضح : (نحن معاشر الانبياء امرنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم) .. فالاسلام اليوم مطالب بأن يقنع العقل المعاصر ويشبعه كل الاشباع .. والاسلام بذلك قمين اذا علم المسلمون حقيقته ..

لقد اراد الله لنا ان نعلم المزيد من حكمة الصوم وذلك على لسان نبيه حتى اننا لنلجأ الى الصوم ، في التطوع من اجل هذه الحكمة ، فقد جاء في الحديث الشريف: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) .. يعني مضعف لشهوة النفس ، ومعين على السيطرة عليها ، ولذلك قرن الصوم مع الصلاة في قوله تعالى : (استعينوا بالصبر والصلاة) والاستعانة انما هي على دواعي الغفلة والغلظة .. وفي التعريف بحقيقة الصوم قال النبي : (الصوم ضياء والصلاة نور)

الدين اوله نقل ولكن !!

صحيح ان القاعدة في الدين ان اوله نقل ، وذلك انما

يعني ان على المؤمن تطبيق اوامره ، حتى و لو غابت عليه الحكمة من وراء هذه الاوامر .. فأنت لا يحق لك ان تقول ، مثلا: لا بد ان اعرف لماذا هن خمس صلوات ، او لماذا اصلي في الظهر اربعا ، و في المغرب ثلاثا ؟ و اذا لم تأتك الاجابة لا تلتزم ، بالتطبيق ، لا !! و انما ينبغي عليك ان تلتزم ثقة في الله و رسوله ، و لكن يجب ان يكون واضحا ، أن عدم العلم ليس مضرا عليك ابدا ، و انما انت موعود ، ان صدقت في التطبيق ، بثمرة التطبيق .. فقد قال تعالى : (و اتقوا الله و يعلمكم الله) .. يعني اعملوا بشريعته يكشف لكم عن سرها و عن حكمتها و عن اسرار وراء ذلك لا يحصيها محص .

و قال النبي في هذا الشأن: (من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم) .. و ليزيدنا بيانا ، في كون العلم بالشريعة ، من صلاة ، و صوم ، و زكاة ، و حج ، هو الحد الادنى من العلم الذي لا تصح العبادة الا به ، و انما هو الباب لعطاء واسع من العلم وراءه قال: (انما انا قاسم و الله يعطي و من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) .. فالنبي يعلم الناس الشريعة ، فاذا عملوا بها بصدق ، زادهم الله علما ، و اول ما يعلمهم هو الحكمة من وراء العبادات والقربات .. و زيادة العلم هنا ليست علما يحصل بالقراءة ، و انما هو علم ينبع من القلب بغير واسطة ، هو علم لدني: (فلقيا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما) .. و في الحق ان معرفة الله انما هي معرفة اسرار فعله .. فالله ظاهر و باطن .. هو ظاهر في فعله و باطن في حكمته وراء فعله .. و لا تقع معرفة العارفين بالله الا في هذا الباب .. و اهم فعله انما هو اوامره و نواهيه .. فمن اخطر الخطأ القول باننا يجب ان نطيع الامر من غير بحث وراء الحكمة منه ..

نخلص من هذا الى ان الامر فى الاسلام ، فى الحقيقة ، انما هو تكريم للعقل ، وحض على المعرفة بالله ، وبحكمته فى فعله وفى امره ، على عكس ما ذهب اليه الشيخ شعراوى فى فتواه تلك ، من محاولة لكبت السائل وارهابه وذلك تخلصا من الحاح عقله ، ودقة تساؤله ..

بل انه لمن آيات التكريم للعقل فى الاسلام ان ختمت النبوة ، وانقطع الوحى بواسطة الملك ، وذلك بانزال كل ما اراد الله انزاله للناس بين دفتى المصحف ، وبذلك انفتح باب واسع للناس اجمعين ليكلمهم الله من خلال القرآن ، وليعلمهم بغير واسطة الملك اكراما لعقولهم ، وتعظيما لشأنها .. انظر كتاب (الرسالة الثانية من الاسلام) للاستاذ محمود محمد طه ، ص ١٠ وكتابه (رسالة الصلاة) ص ٧٣ ..

العبادات وسيلة :

ان الفهم السليم للدين انما يقرر ، ان العبادات ليست غاية فى ذاتها وانما هى وسيلة .. وفى وقتنا الحاضر فان الانسان قد اصبح من رهافة الحس ، وحدة الذكاء وسعة العلم ، على قدر عظيم بحيث لا يصلح ان يقال له فى امر الدين مثل ما قاله له الشيخ شعراوى ، واراده ان يكتفى به ، فى تحجر ، وجمود : (فالمسلم يفعل كذا لأن الله قال له افعل كذا ولا تفعل كذا) !! بينما يريد الانسان المعاصر ان يعلم الى اين تسوقه هذه الاوامر ، ولم يعد كافيا ان يقال ، حتى للمسلم ، ان طاعة الاوامر ، واجتناب النواهى تظفرك بالجنة .. فالمسلمون اليوم قد تصلوا عن الاسلام ، ولكن يرجى لهم ان يعودوا اليه من جديد ، ولذلك ينبغى ان يقدم لهم الاسلام فى مستواه العلمى ، اللائق بانسانية القرن العشرين .. ونحن انما ندعو الناس ليدخلوا فى الاسلام كافة ، فانسان اليوم يريد

نفعا من الصلاة يناله فى التو، برد رضا، و طمأنينة نفس، وصحة بدن، ذلك بأن الصحة الداخلية مؤثرة على الصحة الخارجية .. واذا شكر الناس رفع الله عنهم كل صور العذاب، ومنها المرض، و لقد قال تعالى: (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم، و آمنتم، و كان الله شاكرا، عليما) .. فالحكمة من المرض و من العذاب هى ان يسوق الناس الى الشكر ..

الانسان المعاصر تشده دقائق حقائق الدين:

ان الانسان اليوم لم يعد ذلك الانسان الذى كان فى الماضى يشده الى التدين الترغيب فى الجنة، و الترهيب بالنار، و حسب، و انما اصبح متعلقه الحقيقى دقائق حقائق الدين، فهى التى تشد انتباهه، و تحفز همته، و تشحذ ذكاءه .. ان الفهم الواعى للاسلام يقول: (الدنيا و الآخرة لم تعودا ضرتين كما كانتا فى الماضى، و انما هما اليوم اختان متعاونتان، فما يلقاه الانسان العابد من خير فى الآخرة انما يكون بدؤه هنا، فى هذه الحياة، و من اول ما يجب ان يعلمه انسان اليوم ان العبادة انما هى وسيلة، الحكمة منها، فى عمومها، ان نرضى بالله، و ان نوقن به اذ فى ذلك السعادة كلها .. فالله تعالى يقول عن حكمة الصلاة (فاصبر على ما يقولون، و سبح بحمد ربك، قبل طلوع الشمس، و قبل غروبها، و من آناء الليل فسبح، و اطراف النهار، لعلك ترضى) .. ففاية الصلاة هى الرضا و السعادة والحياة الخصبة، حياة الفكر و حياة الشعور .. و لذلك قال عنها النبى: (و جعلت قرة عينى فى الصلاة) و ذلك لأن فيها تتحقق الروية لله فى قمة تطلب تلك القمة التى حققها، فى ليلة المعراج، حين فرضت عليه الصلاة و هى لحظة الشهود الذاتى

وقد عبّر عنها القرآن: (اذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى) .. فهو مقام توحيد للذات المحمدية تحررت فيه من سلطان الزمان والمكان ـ انظر رسالة الصلاة، ص ٧٣. وغرض الدين الاساسي هو ان يحرر الانسان من كل القيود، واكبر ما يقيد الانسان هو الزمان، اذ يستنفد طاقته بما يفرضه على الفكر من التأرجح بين الماضي والمستقبل .. ولحظة الشهود الذاتي هي قمة التحرر هذه ..

وعلى العموم فانك لن تجد امرا شرعيا، في القرآن، او في الحديث، الا وقد بين فيه الطرف من الحكمة منه، وذلك اكراما للعقل واعزازا لمكانته .. واذن فان السؤال عن الحكمة من كل شيء هو سؤال مشروع، ولا بد من ايفائه حقه، وما يجب ان نقلل من شأنه كما فعل الشيخ شعراوي.

الشعراوي والمرأة المصرية :

اننا لانشك مطلقا في ان هذه الضوضاء التي يثيرها الناس حول هذا الشيخ ستذهب جفاء، وستتضح للجميع حقيقة محتواه السلفي الجامد، المتخلف ..

وها نحن قبل ان نضع القلم، تطالعنا مجلة (صباح الخير) المصرية، بتاريخ ١٩٨١/٨/٦، بمقال للكاتبة (اقبال بركات) تكتشف فيه حقيقة هذا الرجل، فتتبين تخلف فهمه، وقصور تصوره للمجتمع وللمرأة، وللاسلام .. ونحن انما نكتفي بايراد ما قالته عنه هذه الكاتبة: (وصاحب الرأي الثالث هو فضيلة الشيخ متولي الشعراوي، وقد تلقفت كتابه (المرأة كما اراد ها الله) وكلي شوق للتعرف الى رأي هذا العالم الذي اثار اعجابنا ومازال حتى اليوم يثيره لوضوح رؤيته وتجرده وذكائه ..

وللأسف الشديد قرأت عجبا ..

ان الشعراوى مازال يقيس على الرأى القديم من تقسيم مهمة الانسان الى نوعين مهمة الرجل هى الانطلاق الخلّاق والحركة والتألق ، ومهمة المرأة هى السكون والركود والانزواء . فمهمة المرأة الاولى انها خلقت لتكون سكنا للرجل وذلك تفسيره للآية الكريمة : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها) ثم هى مصدر المودة والرحمة .. لا احتجاج طبعا على هذا ولكن النتيجة التى وصل اليها تجعلنا نتعجب فهى تبدو كنوع من العقاب عليها ان ترعى اولادها وتدير شؤون بيتها .. وكأن المرأة اذا عملت لن تفعل هذا ، ولكنها ستفعل ما هو اسوأ فى نظره ، ستخرج متبرجة فى الشارع .. فالعمل عنده يساوى التبرّج .. وما معنى هذا ؟ يجيب الشيخ الشعراوى : (معنى ذلك انها ستبدى مفاتنها واذا أبدت مفاتنها فماذا يكون موقف المجتمع منها ؟)

وندهش حين نقرأ فكرة المجتمع عند الشيخ الشعراوى ، انهم مجموعة من الشبان (الصيع) الذين يقفون على النواصى متلطعين .. فمن اجل هؤلاء وحتى لا تلتهب غرائزهم يجب ان تختفى المرأة وتتوارى ، وتتلاشى !!) انتهى .

ان الشيخ شعراوى لا يستطيع ان ينظر الى المرأة كأنثى كاملة الانوثة ، كانسانة ، مستدينة ، عالمة ، محتشمة تخرج للعمل ، تخرج لتدعو الرجال والنساء الى الدين .. تدعوهم بلسان حالها ولسان مقالها ، وهى بعد راعية لبيتها ، هى وزوجها ، لبعضهما البعض سكن ، ورحمة ، ومودة .. ان المرأة اليوم ، عندما يبعث الاسلام من جديد ، لن يضرب عليها الحجاب ، كما كان شأنها فى القرن السابع .. وانما سيقنّن خروجها الذى هو الآن واقع ، وسيرشد ، ومن ثم ، يصبح الاختلاط امرا مشروعا ، ومرغوبا

فيه ..

راجع كتبنا: (تطوير شريعة الاحوال الشخصية) ، (لماذا خرجت المرأة الجمهورية تدعو الى الدين) ، ـ الرسالة الثانية من الاسلام ـ .

خاتمـــــة :

ان الاسلام هو المرشح ، لدى التحليل الاخير ، ليقود هذا العالم الحائر ، المضطرب ، الذى تفتقت طاقاته البشريـــة ، والمادية ، وملك فيه الانسان ، اليوم ، زمام العلم المادى حتى فلق الذرة ، و ارتاد الفضاء ، و اختصر المسافات ، و وحد الكوكب الارضى ، فتقاربت مشاعر سكانه ، واصبحوا ، فى جميع اطـــراف الارض ، اصحاب حاجة ملحة للسلام ، و المحبة ، و الاخاء ، فـــى كلمة واحدة ، حاجتهم اصبحت ، حاجة حياة او موت ، للوحـــدة الفكرية .. هذه حقيقة قد تأكدت لدينا ، ومن هنا يجـــئ ترشيحنا للاسلام لتتم به هذه الوحدة الفكرية ، حيث فشلت المذهبيات ، و الفلسفات ، المعاصرة ، فى مجال النظرية ، والتطبيق ، فى ان تحقق هذا الحلم الانسانى الملح ، وعجزت ، عجـــزا تاما ، عن ان تستوعب طاقات الانسان المعاصر ، وان تفـــى بحاجته للسلام ، و الرخاء ، والمساواة ..

ولكن !! اى مستوى من الاسلام ، هذا الذى يتكفل بتحقيق هذه الغاية ؟! انه ، قولا واحدا ، ليس المستـــوى العقيدى الذى ناسب المجتمع فى القرن السابع ، وحـــل مشاكله ..

فلم يبق ، اذن ، غير الاسلام فى مستواه العلمـــى ، القائم على اصول القرآن ، وعلى عمل النبى فى خاصـــة نفسه .. فالاسلام ، بهذا المستوى ، هو علم نفس ، بمنهاجه الفردى ، وبنظامه الاجتماعى الذى يقوم على الاشتراكيـــة ، و الديمقراطية ، و المساواة الاجتماعية ، وتلك هى حاجة البشرية اليوم ، المسلمين وغير المسلمين ..

ولكن هذا البعث الاسلامى ، بهذا المستوى ، انمـــا يعوقه الفهم السلفى المتخلف الذى يعشعش فى عقـــول

السلفيين ، و الذى يجد مرتماخصبا فى اجهزة الاعلام ، من راديو وصحف ، و تلفزيون .. فهى تذيع الجهل بالدين ، و تدفع له ، و تضلل الناس به ، فتحجبهم عن الروية الصحيحة ، و تصرفهم عن المعرفة الدقيقة بحقيقة الاسلام ، و قدرته غير المحدودة على توجيه مسار الانسانية ، و حل مشاكلها المزمنة ..

و نحن ، لما كنا قد جعلنا وكدنا ، و همنا كله ، ازالة معوقات البعث الاسلامى الصحيح ، فانا قد اصدرنا هذا الكتاب ، لنقدم فيه نموذجا للفهم السلفى المتخلف ، انطلت على الناس حقيقة تخلفه ، بطلاء من دعوى التحرر ، و التجديد ..

هذا النموذج هو ما ظل ينشر ، و يذاع على الناس من حديث الشيخ محمد متولى الشعراوى الفقيه المصرى المعروف .. فهو عندما يتحدث ، او يكتب ، انما يعبر عن فهم سلفى متخلف ، يتناقض ، و يقصر ، احيانا حتى عن الشريعة التى لم تعد ، فى بعض صورها ، قادرة على حل مشاكل المجتمع المعاصر .. فهو مع الرق !! و هو من المدافعين عن الحكم الوراثى ـ الملكى !! بل انه ليتحسر على زوال الخلافة العثمانية التركية !! و اسوأ من ذلك يلبسها لبوس الاسلام !!

ان المنحى الذى ذهب اليه الشيخ الشعراوى ، مثلا ، و هو يتحدث عن حقوق المرأة ، و عن حكمة الصوم ، انما كان انصرافا عن مواجهة هذه القضايا بما تقتضيه من الدقة ، و التبيين ، و الاقناع للانسان المعاصر ، الذكى ، الذى يريد ان يعرف كل شىء ، فهو يسأل ، و يلح فى السؤال و لكن انى للشيخ شعراوى ، و لاضرابه ، من السلفيين ، ان يوجهوا حيوية هذه العقلية ، و ان يستوعبوا طاقاتها الفكرية المتفجرة ، الطماحة ، ذلك بأن ما يقيم عليه الشيخ شعراوى انما هو الفهم التقليدى للدين ، و ان بدا لبعض المثقفين انه يختلف عن بقية الشيوخ ،

اولئك الذين يعارضون تطوير التشريع الاسلامي ، و يجهلون ان بعض صور الشريعة انما هي مرحلية ، اقتضاها تخلف المجتمع في القرن السابع ، خصوصا في مجال السياسة ، و المال ، والمرأة ، و الدعوة .. فهم يريدون نقل صورة الماضي ، كما هي ، الى الحاضر ، وما هم في ذلك بصادقين ، فهم مفارقون ، في حياتهم اليومية ، للشريعة ، اذ لم يقووا على مغالبة تيار الحياة ، و قد عجزوا عن توجيهه ، فانحرفوا معه ، بغير علم .. هم يمارسون الاختلاط ، مثلا حتى في معاهدهم الدينية ، و الشريعة تحرم الاختلاط !! الا لضرورة ، والضرورة في الشريعة ليست الدراسة في المعاهد ـ فهم يقولون ما لا يفعلون !!

ففي حين يطالب الشعراوي الشعوب الاسلامية ، مثلا ان تقول لحكامها احكمونا بالاسلام ، يقبل هو ان يكون وزيرا في حكومة بلاده العلمانية ، فقد قال في كتاب (الشورى و التشريع في الاسلام) ص ٣١ : (فمرة اخرى ايها المسلمون قولوا لحكامكم طبقوا فينا شرع الله احكمونا انتم بالاسلام وما هذا الذي نطلبه بعجيب و لا كثير) ..

فاذا كانت هذه الحكومات لا تحكم بالاسلام ، والشيخ شعراوي يطلب من شعوبها ان تعارضها ، فكيف جاز له هو ان يقبل لنفسه ، ان يكون وزيرا للأوقاف فيها ، و هي التي لا تحكم بما انزل الله ؟

الم تقل ان هؤلاء الشيوخ تناقض افعالهم اقوالهم على الدوام ؟

و اسوأ من هذا التناقض ، ان دعوته هذه للشعوب الاسلامية انما هي دعوة مضللة ، ابشع انواع التضليل ، ذلك بأنها توهم الشعوب البسيطة ، المخدوعة للدين ، ان اي حاكم

من حكامها الحاليين يمكن ان يتحول فجأة الى قائم بأمر الدين ، بلا سابق معرفة حقة بالاسلام ، وبلا تربية قويمة .. فاذا نشأ حكم باسم الاسلام ، على هذه الصورة ، فلن يكون الا حكما استبداديا ، يجمع فى يده السلطة الدينية مع السلطة الزمنية ، ويعيث فى الارض الفساد ، وهو آمن من المعارضة ، لأن من يعارضه ، يرم بالكفر والالحاد .. فيكبت بذلك كل فكر حر ، ويسكت كل صوت جهير ..

وهذا ما كانت تسعى الطائفية فى بلادنا لتحقيقه ، قبيل ثورة مايو ، حين اخذت تتآمر لاجازة ما اسمته (الدستور الاسلامى) الذى قاومه الجمهوريون واسموه فى حينه (الدستور الاسلامى المزيف) .

ان منصب الحاكم فى الفهم الاسلامى الصحيح ، انما يتولاه افضل الناس دينا ، ولقد رأينا كيف كانت سيرة النبى ، وصاحبيه ، ابى بكر وعمر ، موكدة لهذا المبدأ ، ومن هنا جاء صلاح الحكم فى الصدر الاول من الاسلام .

واما اذا ما تورطت الشعوب الاسلامية ، كما يريد لها الشيخ الشعراوى ، فدعت حكامها ان يحكموها بالاسلام ، من غير تربية ، ومن غير فهم واع للاسلام ، لا عند هؤلاء الحكام ، ولا عند هذه الشعوب ، اذا حدث هذا ، فانما هى الفتنة ، والفوضى ، والتنفير من الاسلام ، وتأخير عقارب الساعة ، على النحو الذى يجرى فى ايران الآن .

اننا لنتساءل لماذا يجد مثل هذا الشيخ ، فى جهاز كالتلفزيون ، مرتعا خصبا لينفث فيه الوانا من التخلف ، والاذى ؟! تخلف رأى ، وسوء لفظ تعف عن الاصغاء اليه الاسماع ، وتنفر منه القلوب ..

وهاكم آخر الامثال التى بلغتنا : حديثه فى التلفزيون السودانى مساء الجمعة ١٤/٨/١٩٨١ ، حيث وردت فيه هذه

العبارة : (افرض انى ، لا مؤاخذة ، بخاطب واحدة ست) ، وهى ، بالطبع عبارة جافة ، وغليظة ، وهى لا تليق بحق احد من الناس .. ومهما يكن من الأمر ، فهى شديدة الدلالة على التكوين النفسى لهؤلاء السلفيين ، وما ينطوى عليه اهابنهم من نظرة متخلفة للمرأة ، ولمكانتها فى الدين ، وفى الحياة .. ولقد رأينا ، فى الحديث التلفزيونى الذى اثبتنا نصه فى هذا الكتاب ، كيف انحطت معالجة الشيخ الشعراوى لقضية المرأة ، مما يجعل صدور هذه العبارة منه امرا طبيعيا ، لا غرابة فيه .

ان بحث الاسلام من جديد ، لاستنقاذ الانسان المعاصر لهو اكبر ، واعظم الواجبات فى هذه الساعة وان الشيخ الشعراوى واضرابه من السلفيين لمن المعوقين لامر هذا البحث ، بأحاديثهم المعممة المزوقة ، البعيدة ، فى نفس الوقت ، عن روح الدين .. هم معوقون ، حتى فى طريق التقدم المدنى ، مهددون لوحدة بلد كالسودان ، ومصر ، بما يمقون بغير حق ، اليوم ، اسباب الفرقة بين المسلمين وغير المسلمين ، وبما يثيرون من نعرة الرق ، وبما ينشرون من جهل حول المرأة ، وحول قضية الحكم ، مما يتبرأ منه الاسلام ، ويرفضه روح العصر .. ولهذا كله فاننا كتبنا هذا الكتاب ، لنكشف الغطاء عن هذا التضليل ، وليستبين الطريق المستقيم .. ونحن ، بعد ، انما نحمل المسؤولية كلها ، الدينية ، والتاريخية ، والوطنية ، للمشرفين على برامج التلفزيون عامة ، والدينية منها خاصة ، وفى مقدمة هؤلاء ، الامانة العامة للشؤون الدينية ، وامينها العام الدكتور عون الشريف ، اذ يبثون هذا الحديث المبتذل ، المتخلف فى الفكر ، والسلوك ، على اسماع رجالنا ونسائنا ، وناشئتنا ، من غير افساح المجال لدحضه وتفنيده .. لقد اهدينا كتابنا هذا للشيخ محمد متولى الشعراوى ،

ونحن له ناصحون ، وفى نصحنا مخلصون ، فان هذا الذى تذيعه فى الناس اليوم قد خلّفه حكم الوقت فجاء قشرة بصلا لبّة .. ان الوقت اليوم يتطلّب الوحدة الفكرية للبشرية جمعاء لتتواءم مع الوحدة المكانية ، والزمانية ، التى جاء بها ، فى ركابه ، التقدم التكنولوجى الحديث ، الذى الغى المكان والزمان الغاء يكاد يكون تاما .. وبغير الوحدة الفكرية التى توحد البشرية وتجعلها متوائمة مع بيئتها الجديدة فان الحرب تصبح ضربة لازب .. وبالحرب الحديثة ، بالاسلحة الرهيبة الحديثة ، تكون الحرب اتون انقراض للبشرية ، شأنها فى ذلك شأن جميع الاحياء التى عجزت عن ان تحدث التوافق والتناسق مع بيئتها .. ان التغيير سريع فى العهد الحديث .. وليس للتغيير الاجتماعى غير مذهبيتين اليوم : الماركسية والاسلام .. وهما كفرسى رهان .. والوقت ملح .. وهو لا ينتظر .. وامور الناس تتغير بسرعة المواصلات الحديثة ، فلكأنها معلّقة بجناحى طائرة .. والماركسية واجدة فرصة التطبيق فى دولة ام هى روسيا ، وهى بذلك تتقدم بهذه السرعة المذهلة للسيطرة على العالم .. والاسلام غايب عن حياة المسلمين ، بله غير المسلمين .. ولا تستطيع الماركسية حل مشاكل الفرد المعاصر ، ولا المجتمع المعاصر ، وذلك لسبب واحد بسيط هو انها ، فى فلسفتها عن علاقة الفرد بالجماعة ، والفرد بالكون ، قد توسطت فى خطأ مريع ، فهى قد جعلت الجماعة غايتها والفرد وسيلة اليها .. وهى قد قطعت علاقة الفرد بالغيب .. ان الاسلام وحده هو الذى يملك تصحيح خطأ الماركسية ، وهو وحده الذى يملك حل مشكلة الفرد البشرى المعاصر ، والمجتمع البشرى المعاصر .. ولكن على ان يفهم الاسلام على حقيقته ، وفى مستوى اصوله التى ضمتها آيات مكة ، لا آيات المدينة .. وهذا الفهم غريب عليك ، يا شيخ شعراوى .. ولكنه الحق

الذى لا حق غيره منذ اليوم .. وكل تأخير لذيوعه بين الناس انما هو عون للماركسية على ان تتقدم لاغتيال حريات البشر على هذا الكوكب، وهو عمل اجرامى فى حق الحق، وفى حق الخلق ..

ان الذى تذيعه الآن فى الناس يصرفهم عن لباب الاسلام الى قشوره، ويؤخر عقارب ساعة التغيير، ويعطى الفرصة للماركسية بما يخلى لها ميدان المنافسة الحقة ..

نحن لك ناصحون، وفى نصحنا لك مخلصون، وبحقيقة ما نقول عالمون، فاسمع منا، ولا تسمع ممن يكيلون لك الثناء، ويظهرون لك الاعجاب !!

لمصلحة دينك، ودنياك، ولمصلحة الحق، ولمصلحة هذه البشرية الضاربة فى التيه، اقلع عما تذيعه فى الناس اليوم، واعكف على لباب الاسلام، وانظر فى حقائقه التى تحل مشاكل الفرد البشرى المعاصر، والمجتمع البشرى المعاصر، ففى ذلك حاجة البشرية، وهى اليوم حاجة حياة، او موت ..

ان حكم الوقت قد خلف هذا الذى تقول، وهذا الذى به تحشو ادمغة الشباب، والشيب، فصرفهم بالبهرج عن الجوهر، وبالقشور عن اللباب ..

اقلع عنه تغنم اجرا !! وان لم تشتغل بحقيقة الاسلام، ولم تصل الى لبابه ..

نقول هذا، (وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر، ولو شاء لهداكم اجمعين) .. صدق الله العظيم ..

الاخـــوان الجمهوريـــون
ام د رمـــان ص ب ١١٥١
تلفـــــــون ٥٦٩١٢

هذا الكتاب

* الرِّق عند الشعراوى باق !!
* ليس فى النظم الحديثة ، ولا فى أصول الأسلام ، رق !!
* الشعراوى يدافع عن الحكم الوراثى .
* حتى السلطنة العثمانية هى حكم إسلامى عند الشعراوى ؟!
* الجهاد فى مفهوم الشعراوى .
* الإسماح .. والديمقراطية الإنسانية اليوم .
* الإسلام والمرأة المعاصرة .
* أقدس القضايا يتناولها شعراوى تناولاً عامياً ..
* إجابة الشيخ دون مستوى الشريعة .
* الشعراوى والمرأة المصرية !!

الثمن ١٥٠ قرشاً